

القيم الدلالية لأصوات الحروف في العربية عؤد على بؤء

The Semantic Values of Arabic Sounds

منال نجار

Manal Najjar

قسم اللغة العربية، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك، السعودية

بريد إلكتروني: dr.manalnajjar@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠١٠/٣/٢٨)، تاريخ القبول: (٢٠١٠/١٠/٦)

ملخص

إن مرادنا الذي نرسمه في هذه الدراسة هو تأسيس قراءة صوتية دلالية لأي نص إبداعى أو خطابى، قراءة تستثمر نتائج علم الأصوات الحديث وتوظيفها في ضوء هذه القراءة؛ فلا بد أن يحرص الناقد أو القارئ على مثل هذه القراءة للعمل الأدبى إذا أراد أن يكون رؤى صحيحة له، وإذا أراد أن يعيش لذتها ويحظى بها، وذلك لأن أكثر كلام العرب عليها - وإن كان غفلا مسهؤا عنها - فأهل العربية القدامى رأوا أن المادة الصوتية في الحروف العربية لها أثر في استدعاء المعنى أو الإيماء به. واستدعاء مشاعر خفية وصور مُدخرة وخطرات خيال؛ فكأنك تحس بما يُؤلده الصوت من معنى، وبما يبعثه من لذة في النفوس والقلوب. ثم إن ربط المستوى الصوتى بالمستوى السياقى والمقامى، يجعل نظرتنا الصوتية لأي خطاب أو نص أكثر واقعية وموضوعية وعلمية. وتكفلت الدراسة بمقولات الدارسين المعاصرين ومحاولاتهم في الخروج بمعانٍ جديدة لأصوات الحروف العربية، ومحاولة تطبيقها في النص الشعري، ومحاوره تلك المحاولات.

Abstract

This study aims at establishing a pragmatic and phonetic reading for any creative discourse, written or spoken, in which the findings of modern phonetics are employed. The study argues that applying this type of pragmatic reading by critics or readers will provide a clearer understanding or interpreting leaving space for greater appreciation of its beauty and artistic value which most of Arabs' works enjoy. Old Arabic scholars took into consideration the remarkable effect of the phonetic

representations of Arabic alphabet in the understanding of meaning expressed or implied. The sound is felt to generate meaning and to evoke a sense of tasteful ecstasy in heart and soul. Furthermore, the fact of establishing a relationship between the phonetic level with the pragmatic level makes our phonetic theory for any discourse, written or spoken, more realistic, objective and scientific. This research, moreover, examines and argues the studies of contemporary scholars and their attempts to find out new meanings of the sounds of Arabic Alphabet in addition to applying them to poetry.

المقدمة

نسال أنفسنا أحياناً: هل يدرك (المتكلم/السامع) أنّ ثمة علاقة بين الألفاظ: (نفذ، نفث، نفر، نفخ، نفح، نفد، نفق، نفى...) غير التي تتمثل في اشتراكها في الصوتين "ن"، و"ف"؟ أئمة علاقة بين هذين الصوتين وبين معاني ألفاظهما تتمثل في معنى: خروج الشيء وانطلاقه.

وهل يدرك أنّ الألفاظ التي فيها صوت "الميم" يجد معنى الجمع معقوداً بها مثل: (لم، رم، ضم، التوأم، الأم، الإمام، الرمان، هموم،...) وأن الألفاظ التي فيها صوت "الشين" يجد فيها معاني البعثرة والتشتت والجمع العشوائي والانتشار: (شع، نشر، فرش، شمس، شرارة، شعلة، حشيش، عشب، شجر). وأن الألفاظ التي فيها صوت "الفاء" يجد فيها معنى الفراغ أو التفريغ المادي والحسي: (حفرة، فتحة، فسحة، فضاء، نافذة، أنف، قم،...) ونسال هل هناك علاقة بين أصوات لفظة (الله) ومعناها؟ ثم نسال لماذا اتخذت معظم اللغات من "الباء" صوتاً أساسياً للتعبير عن معنى الأبوة ومن "الميم" أساساً للتعبير عن معنى الأمومة؟ ولم تكن المسألة معكوسة؟ ولماذا جاء ذلك اللفظ لهذا المعنى، فيجعلنا نسمي الشجرة "شجرة" ولا نستطيع أن نسميها "وردة" مثلاً؟ ثم نتساءل هل المجامع اللغوية معنية بمثل هذه العلاقة بين الصوت ومعناه عند ترتيب ألفاظ العربية في معجم حديث، وعند وضع ألفاظ جديدة إزاء مفاهيم عصرية جديدة فتختار لكل لفظ معناه الذي يوحي به أصواته؟

فالقضية التي نروم فحصها من خلال هذه التساؤلات تكشف عن العلاقة بين أصوات الحروف ومعانيها وذلك من خلال النظر في صفات الأصوات: الانفجاري والاحتكاكي، والجهري والهمسي، والمفخم والمرقق، والصفير والتفشي، والاستطالة والتكرار، والمد واللين... ومن حيث مخرجها المختلفة.

أصوات الحروف العربية

دلالة القوة والضعف

على الرغم من أن الباحثين تداولوا كثيراً تعريف ابن جني في اللغة على أنها أصوات يُعَبَّرُ بها كل قوم عن أغراضهم^(١)؛ فإن هذه الدراسة تريد أن تأخذ على ظاهرها ربط أصوات اللغة بالأغراض والمقاصد. فابن جني يرى أن هذا الربط أمر طبيعي في اللغة ومكوّن من مكوناتها إلى الحد الذي يتهم نفسه بالقصور في حال عدم تمكنه من رصده^(٢).

وقد عقد لهذا الربط في خصائصه أربعة أبواب^(٣)، فقال: في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني: "إنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمَتِ الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها.

من ذلك قولهم: **خَضَمَ، قَضَمَ**. فالخَضَمَ لأكل الرُّطْبِ؛ كالبيطِخ والقنّاء وما كان نحوهما من المأكول الرُّطْبِ. والقَضَمَ للصُّلبِ اليابس، نحو قَضَمَتِ الدابة شعيرها، فاختراروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حَذْوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"^(٤).

ومن ذلك قولهم: "النَّضْحُ للماء ونحوه، والنَّضْحُ أقوى من النَّضْحِ، قال الله سبحانه وتعالى: (فيهما عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ)^(٥). فجعلوا الحاء - لرققتها - للماء الضعيف، والخاء - لغلظها - لما هو أقوى منه"^(٦).

وقولهم: "الوسيلة والوصيلة، والصاد أقوى صوتاً من السين؛ لما فيها من الاستعلاء"^(٧)، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة، وذلك أنّ التوسل ليست له عِصْمَةُ الوصل والصلية؛ بل الصلة

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص٣٤.

(٢) "فإن أنت رأيت شيئاً من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه، ولا يتابعك على ما أوردناه، فأحد أمرين: إما أنك لم تنعم النظر فيه، فيقع بك فكرك عنه، أو لأن لهذه اللغة أصولاً وأوائل قد تخفى عنا وتقتصر أسبابها دوننا - كما قال سيبويه -: أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر". ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ج٢، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م/ص١٦٤.

(٣) باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، ص١٤٥-١٥٢.

باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، ص١٥٢-١٦٨.

باب في الاشتقاق الأكبر، ص١٣٣-١٣٩. وباب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، ص١١٣-١٣٣.

(٤) ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص١٥٧-١٥٨.

(٥) سورة الرحمن، آية ٦٦.

(٦) ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص١٥٨، وينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ج٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٩م/ص١٩.

(٧) علو الصوت عند النطق به إلى الحنك. ينظر: ابن الطحان، أبو الأصبع السُّمّاتي الإشبيلي، **مخارج الحروف وصفاتها**، تحقيق: محمد يعقوب تركستاني، ط١، ١٩٨٤م/ص٩٣.

أصلها من اتصال الشيء بالشيء، ومما شبه له، وكونه في أكثر الأحوال بعضا له، كاتصال الأعضاء بالإنسان، وهي أبعاضه، ونحو ذلك، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءاً أو كالجزم من المتوسل إليه. وهذا واضح. فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف^(١).

ومنه قولهم: "صَعِدَ وَسَعِدَ. فجعلوا الصاد - لأنها أقوى - لما فيه أثر مشاهد يُرى، وهو الصعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك. وجعلوا السين - لضعفها - لما لا يظهر ولا يُشاهد جسماً، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجدّ. لا صعود الجسم؛ ألا تراهم يقولون: هو سعيد الجدّ، وهو عالي الجدّ، وقد ارتفع أمره وعلا قدره.

فجعلوا الصاد لقوتها مع ما يُشاهد من الأفعال المعالَجة المتجسّمة، وجعلوا السين لضعفها، فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية^(٢).

ومن ذلك: "القَسْمُ والقَصْمُ. فالقَصْمُ أقوى فعلاً من القَسْم؛ لأن القَصْم يكون معه الدِقُّ، وقد يقسم بين الشئيين فلا يُنكأ أحدهما، فلذلك خصّت بالأقوى الصاد، وبالأضعف السين"^(٣).

ومنه: "سَدٌ وِصْدٌ. فالسد دون الصد؛ لأن السد للباب يُسد، والمنظرة ونحوها، والصد جانب الجبل والوادي والشَّعب، وهذا أقوى من السد الذي قد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك.

فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى، والسين لضعفها، للأضعف"^(٤).

ومن ذلك قولهم: ازدحام الدال، والتاء، والطاء، والراء، واللام، والنون، إذا مَارَجَتْهُنَّ "الفاء" على التقديم والتأخير، فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوهما، ومن ذلك:

(١) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٦٠.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦١.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦١. وتنبّه لهذه العلاقة السكاكي في مفتاحه فقال: "إن للحروف في أنفسنا خواص بها تختلف كالجهر والشدّة والرخاوة والتوسط بينهما وغير ذلك... وإذا أخذ في تعيين شيء منها لمعنى أن لا يهمل التناسب بينهما، مثل ما ترى في (القَصْم) بالفاء الذي هو حرف رخو، لكسر الشيء من غير أن يبين، و (القَصْم) بالقاف، الذي هو حرف شديد، لكسر الشيء حتى يبين، وفي (الثلم)، بالميم الذي هو حرف خفيف ما يبني للخلل في الجدار، و (الثلب) بالياء هو حرف شديد (انفجاري) ما يبني للخلل في العرض وما شاكل ذلك ينظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، حققه وقدم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٤٦٧، وينظر: البطلبوس، أبو محمد عبد الله بن محمد، الفرق بين الحروف الخمسة: الظاء والضاد والذال والسين والصاد، دراسة وتحقيق: عبد الله الناصير، ط ١، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ١٩٨٤م/ ص ٥٣٢-٥٣٣.

(٤) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٦١.

- **الدَّالِفُ:** للشيخ الضعيف والشيء التالف والظَّلِيف والظَّلِيف^(١): المَجَان وليست له عصمة الثمين.
- **والظَّنْفُ:** لما أشرف خارجا عن البناء وهو إلى الضعف.
- **والنُّظْفُ:** العيب (وهو إلى الضعف).
- **والدَّنِيفُ:** المريض.
- **ومنه: التَّنَوُّفَةُ** وذلك لأن الفلاة إلى الهلاك؛ ألا تراهم يقولون لها: مَهْلَكَةٌ.
- **ومنه: التُّرْفَةُ؛** لأنها إلى اللين والضعف.
- **وعليه قالوا: الطَّرْفُ؛** لأن طَرَفَ الشيء أضعف من قلبه وأوسطه.
- **ومنه: الفَرْدُ؛** لأن الفَرْدُ إلى الضعف والهلاك.
- **ومنه: الفُتُورُ؛** للضعف.
- **والرَّفَّتُ؛** للكسر.
- **والرَّدِيفُ؛** لأنه ليس له تمكُّن الأول.
- **ومنه: الطَّرَّاقِلُ،** لضعفه... " (٢).
- **ومنه: التَّقْلُ** الريح المكروهة، فهي منبوذة مطروحة.
- **ومنه: الدَّقْلِي** لضعفه عن صلابة النَّع.
- نرى من خلال الأمثلة السابقة التي طرحها ابن جني أن هناك علاقة تربط بين الصوت ومعناه، ثمكنا من قراءة المعاني في الألفاظ، معتمدين على صفات أصوات حروفها وطبيعتها النطقية والمادية الفيزيائية مما يجعل مثل هذه الأصوات محكومة بقاعدة:

(١) والظَّلِيف لغة في الظَّلِيف. ويقال: ذهب به مجاناً وظليفاً وظليفاً إذا أخذته بغير ثمن. ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٦٦.

(٢) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٦٦-١٦٨.

وَضْعُ الصَّوْتِ الْمُنَاسِبِ فِي مَقَامِهِ الْمُنَاسِبِ

ففي لفظة (خَضَم) "الخاء رخوة"^(١) لأنها صوت - يخرج من مجرى الهواء دون انسداد كلي - لهذا هو صوت ضعيف. أما "القاف" في لفظة (قَضَم) فصلابتها من كونها صوتاً

(١) عند وصفنا لصوت من أصوات الحروف - في ضوء علم الأصوات الحديث - فإن أهم ما يُذكر أمران: مخرج الصوت وصفته، فنميز في نظام الأصوات في اللغة العربية الفصيحة عشرة مخارج:

المخرج الحنجري (ء، هـ)	
المخرج الحلقي	(ح، ع)
المخرج اللهوي	(ق)
= المخرج الطريقي	(ك، خ، غ، و، الضمة)
المخرج الغاري	(ش، ج، ي، الكسرة، الفتحة)
المخرج اللثوي	(ل، ر، ن)
المخرج الأسنان اللثوي	(ت، ط، د، ض، س، ص، ز)
المخرج الأسنان	(ث، ذ، ظ)
المخرج الشفوي الأسنان	(ف)
المخرج الشفوي الثنائي	(ب، م)، أما صوت الواو، فمخرجه من الطبق - كما قلنا سابقاً - وإن كان يصحب بملمح استدارة الشفتين

وصفات هذه الأصوات تتوزع على النحو الآتي:

- **المجهور والمهموس**
المجهور: انحباس جري النفس عند النطق بالحروف لقوة الاعتماد في المخرج واهتزاز الأوتار الصوتية عند اندفاعه، وله خمسة عشر حرفاً هي: (ب، د، ض، م، ن، ذ، ظ، ز، ج، غ، ع، ل، ر، ي، و)
المهمس: جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد في المخرج بحيث لا يهتز الوتران الصوتيان عند نطقه، وله ثلاثة عشر حرفاً هي: (ت، ط، ك، ق، ء، ف، ث، س، ص، ش، ح، خ، هـ).
نذكر هنا أن القدماء أغفلوا الإشارة إلى الوترين الصوتيين عند حديثهم عن الهمس والجهر.
- **الانفجاري والاحتكاكي**
الانفجاري: انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف انحباساً يعيق مرور النفس تماماً، فإذا أزيل الغلق المحكم فجأة أحدث النفس صوتاً - لأن الهواء يسرح دفعة واحدة - والحروف الانفجارية ثمانية هي: (ء، ق، ك، ت، ط، د، ض، ب)
المحبوس الاحتكاكي: جريان الصوت مع الحرف لتمام ضعفه لعدم الاعتماد على مخرجه، حيث يُسرح الهواء ببطء. والحروف الاحتكاكية أربعة عشر حرفاً هي: (هـ، ح، ع، خ، غ، ش، ج، س، ص، ز، ث، ذ، ظ، ف)
التكراري: الذي إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر؛ بما فيه من التكرير. ويتضمن صوت (ر).
الجانبى: انحراف اللسان عند النطق بالصوت. ويتضمن صوت (ل)
اللين الانزلاقي - شبه حركة -: إخراج الحرف من دون كلفة على اللسان، وحروفه (و، ي)
الأنفي: أن يكون اتصال الأسفل بالأعلى محكماً، لا يسمح للهواء بالخروج من الفم، فيأخذ طريقه في الأنف ويتضمن صوتي (م، ن).
- **الاستعلاء**
الاستعلاء: انحصار صوت الحرف بين اللسان والحنك الأعلى لارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى، وحروفه سبعة هي: (ص، ض، ط، ظ، خ، غ، ق) والاستعلاء هنا نوعان: ١. استعلاء توصف الأصوات التي تنسم به

انفجارياً، ينحبس الهواء حبساً تاماً عند نطقها يتبعه انفجار وإطلاق للصوت، تستشعر الأذن قوته. وتأتي صفتا القوة في "القاف" و "الضعف" في "الخاء" ليتناسبا مع معاني ألفاظهما؛ إذ لا يُعقل أن تكون الطبيعة الصوتية لصوت تدل على القوة ثم نُحَمَّل الصوت نفسه دلالة تدل على الضعف.

فلا يصح وضع (قضم) لأكل الرطّب؛ لأن "القاف"^(١). توحى لنا بالقوة وما يناسب أكل الرطّب "الخاء" لأنها صوت ضعيف. فتناسبت لفظة (خضم) وأكل الغذاء الرطّب و (قضم) وأكل الغذاء اليابس. يقول ابن جني: "فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف"^(٢).

وفي لفظة (نضج) "الحاء"^(٣) ضعيفة لأنها صوت مرقق، وقوة "الخاء"^(٤) في (نضج) ناتجة عن كونها صوتاً مفخماً. والحرف المفخم يمتاز عن غير المفخم برنة غليظة وحجم كبير من الهواء الصاعد من الرئتين، وتوتر على مستوى النطق. فاستعمل الحرف المرقق للدلالة على المعنى الأضعف؛ الماء الخفيف، وللتعبير عن الرش الخفيف، والحرف المفخم للدلالة على المعنى القوي؛ الماء الكثير وعندما يكون البلب شديدًا.

بالأصوات المفخمة تفخيما تاما، وهي (ص، ض، ط، ظ). ٢. استعلاء توصف الأصوات التي تتسم به بالأصوات المفخمة تفخيما جزئيا، وهي (خ، غ، ق).

المرقق: ضد المفخم، انخفاض اللسان عند النطق بحروفه، وهي كل الحروف ما عدا الحروف المفخمة. ومن خلال هذا التوزيع تكشف الصفات الصوتية لـ: صوت الخاء: طبقي احتكاكي مهموس مفخم ينظر: ابن الطحان، أبو الإصبع السُّماتي الإشبيلي: مخارج الحروف وصفاتها. تحقيق: محمد يعقوب تركستاني، ١٩٨٤م

- أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩م.

- حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

- بركة، بسام. علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية، الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٨م.

- الكوري، كونغ إجو. نظرية علم اللسانيات الحديث وتطبيقها على أصوات العربية، مجلة اللسان العربي، ع ٣٥، ١٩٩١م، ص ٤٨-١٩.

- بني، أوديت. بحث في فونولوجيا اللغة العربية، مجلة الفكر العربي، س ١، ع ٨٦-٩، ١٥ آذار مارس ١٩٧٩م، ص ١٧١-١٩١.

- كانتينو، جان. دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، نشریات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.

الرخوة: هي الأصوات الاحتكاكية - وفق مُسمّى علم الصوتيات الحديث - وفي مقابلها الشديدة: أي الأصوات الانفجارية.

- (١) صفات صوت القاف: لهوي انفجاري مهموس مفخم.
- (٢) ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٦٦، وينظر: الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، م ١، بيروت، لبنان، ص ٣٦.
- (٣) صفات صوت الحاء: حلقي احتكاكي مهموس مرقق.
- (٤) صفات صوت الخاء: طبقي احتكاكي مهموس مفخم.

والقول نفسه في حرفي "السين" ^(١) و "الصاد" ^(٢) في لفظتي (الوسيلة والوصيلة)، و(سعد وصعد)، و(القسم والقصم)، و(سد وصد)، فضعف السين ناتج عن كونه حرفاً مرققاً، وقوة الصاد ناتجة عن كونها حرفاً مفخماً.

وفي مثال الأصوات (الدال، والتاء، والطاء، والراء، واللام، والنون) التي إذا مازجتهنّ "الفاء" ^(٣) على التقديم والتأخير فإن مجموع معانيها: الوهن والضعف، وذلك لما يتمتع به صوت "الفاء" من ضعف شديد؛ لأنه صوت: احتكاكي ومهموس ومرقق؛ فجمع الضعف من ثلاث جهات.

وقالت العرب: "الخذأ - بالهمزة - في ضعف النفس، والخذأ - غير مهموز - في استرخاء الأذن. يقال: أذن خذواء، وأذان خذو، ومعلوم أن "الواو" ^(٤) لا تبلغ قوة "الهمزة" ^(٥). فجعلوا "الواو" - لضعفها - للغيّب في الأذن، و"الهمزة" - لقوتها - للغيّب في النفس؛ من حيث كان غيب النفس أفحش من غيب الأذن" ^(٦).

فقوة "الهمزة" من كونها انفجارية، وضعف "الواو" لأنها شبه حركة لينة انزلاقية، والحرف أقوى من الحركة.

وقالوا: "مدّ الحبل و"مت إليه بقرابة" فجعلوا "الدال" ^(٧) - لأنها مجهورة - لما فيها علاج، وجعلوا "التاء" ^(٨)

- لأنها مهموسة - لما لا علاج فيه" ^(٩).

والذي فيه علاج يحتاج إلى قوة "الدال"، أما "التاء" الضعيفة فجعلوها للذي ليس له علاج.

(١) صفات صوت السين: أسناني لثوي احتكاكي مهموس مرقق.

(٢) صفات صوت الصاد: أسناني لثوي احتكاكي مهموس مفخم.

(٣) صفات صوت الفاء: شفوي أسناني احتكاكي مهموس مرقق.

(٤) صفات صوت الواو: طبقي لين انزلاقي - شبه حركي - مجهور.

(٥) صفات صوت الهمزة: حنجري انفجاري مهموس مرقق. ومن ناحية أخرى، فإن صوت الهمزة صوت خلافي من ناحية الهمس والجهر، فقد عدّه سيبويه مجهوراً، وعدّه إبراهيم أنيس والسعران وكمال بشر صوتاً لا مجهوراً ولا مهموساً، وأنكر رمضان عبد التواب هذا الرأي فقال: "وهذا رأي غريب لم يرض عنه جمهرة الدارسين للأصوات". ينظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ٧٨. والسعران، محمود (مقدمة للقارئ العربي) علم اللغة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٣٢ و بشر، كمال، علم اللغة العام (الأصوات) دار المعارف بمصر، ١٩٨٦م، ص ١١٢ و عبد التواب، رمضان، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٥٧.

(٦) ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٦٧، وينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٦٠.

(٧) صفات صوت الدال: أسناني لثوي انفجاري مجهور مرقق.

(٨) صفات صوت التاء: أسناني لثوي انفجاري مهموس مرقق.

(٩) ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٦٧. ضعف الصوت المهموس لأنه ينتج بجهد مضاعف، ويحتاج إلى وقت أكثر من الأصوات المجهورة التي تنتج بجهد ووقت أقل.

وقالوا: "قَطَّ الشَّيْءُ" إذا قطعته عرضاً، و"قَدَّه" إذا قطعته طولاً؛ وذلك لأنَّ منقطع "الطاء" أقصر مدة من منقطع "الدال" فجعلوا "الطاء"^(١) - لأنها مهموسة - لقطع العرض لقربه وسرعه، وجعلوا "الدال" - لأنها مجهورة - لما طال من الأثر وهو قطعته طولاً"^(٢).

فجعلوا الصوت القوي المجهور "الدال" لقطع الطول لأنه يستغرق مدة أطول والصوت الضعيف المهموس "الطاء" لقطع العرض لأنه يستغرق مدة أقل.

ومن هنا نرى أنَّ ابن جني تنبَّه إلى العلاقة بين الصوت ومعناه؛ حيث نظر في أصوات الحروف التي تشترك في معنى معين، فوجد أنَّ كل واحد منها ينفرد بصفة خاصة تكون ألقى بالمعنى وألقى به.

فالألفاظ التي في أصواتها انفجار وجهر وتفخيم جاءت تتوافق مع معاني القوة، أما الألفاظ التي في أصواتها احتكاك وهمس ورقة فجاءت تتوافق مع معاني الضعف.

"فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً، وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً"^(٣).

ولم يقف ابن جني عند العلاقة بين الصوت ومعناه فحسب، بل كشف عن هذه العلاقة عندما رأى أن ترتيب أصوات الحروف يأتي وفقاً لترتيب معنى الكلمة؛ فيقدم ما يضاهاى أول الحدث، ويؤخر ما يضاهاى آخره، ويوسط ما يضاهاى أوسطه، سَوْقاً للحروف على سَمْتِ المعنى المقصود، والغرض المطلوب"^(٤). فيعبّر عن ذلك بأصوات حروف تتوافق خصائصها مع حركة حركة الفعل. وهذه تعد خطوة رائدة ومتقدمة في الكشف عن مثل تلك العلاقة.

ومن ذلك قولهم: (بحث). "فالباء"^(٥) لغلظها تُشبه بصوتها خفقة الكفّ على الأرض، والحاء لصحلتها^(٦)

تشبه مخالبا الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء^(٧) للنفث واللبث للتراب"^(٨).

- (١) صفات صوت الطاء: أسناني لثوي انفجاري مهموس مفخم.
- (٢) ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٦٧، وينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٥٨.
- (٣) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ط ١، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م/ ص ٦٠.
- (٤) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٦٢.
- (٥) صفات صوت الباء: شفوي انفجاري مجهور مرقق
- (٦) الصحل: البحة في الصوت
- (٧) صفات صوت الثاء: أسناني احتكاكي مهموس مرقق
- (٨) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٦٣.

فانظر كيف جعل ابن جني كل صوت حرف يوآد صورة يحكي فيها صوتاً من أصوات الطبيعة أو أصوات الحيوان.

ثم انظر كيف أنّ أصوات حروف لفظة (بحث) تتوافق خصائص حروفها وكيفية نطقها مع حركة البحث وهيئته فكأن السامع يحس ويستشعر مراحل البحث الثلاث:

"ب" فأول البحث يبدأ بقوة يستمدّها من كون "الباء" انفجارية ومجهورة، ويكون البحث بداية في الأشياء الظاهرة على السطح ومخرج "الباء" قريب من الشفتين الظاهرتين، ويحتاج نطق "الباء" بداية إلى ضم الشفتين وإطباقهما، وتحتاج عملية البحث منذ البداية إلى جمع قوائا. وبعد ضم الشفتين تفتح الشفتان وتفرجان وهذا تعبير عن بداية البحث.

"ح" وفي أثناء البحث يتعب الشخص فلا يحتاج إلى قوة بدايته، وتحكي "الحاء" هذا الأمر بصوتها فهي ضعيفة لأنها صوت (احتكاكي مهموس مرقق). بالإضافة إلى أنّ صوت "الحاء" يحاكي عملية الخفاء والاختفاء؛ فجميع صفاته الضعيفة الثلاث ومخرجه (الحلق) يوحي بخفاء هذا الصوت - لولا بُحة فيه - ولأن مخرج "الحاء" من الداخل فنحتاج إلى جهد عضلي عند نطقها وكذلك عملية البحث.

"ث" وفي آخر البحث تكون قد حصلت على الشيء المفقود، فلا تحتاج إلى قوة لهذا جاءت "الثاء" الضعيفة لأنها صوت احتكاكي مهموس مرقق.

والفرق بين "الحاء" و"الثاء" في مخرجيهما؛ "فالحاء" حلقية مخرجها من داخل الجهاز الصوتي، فتحاكي بهذا عملية البحث التي ما تزال مستمرة في العمق، وما زال الشيء الذي يُبحث عنه مخفياً. أما "الثاء" فأسنانية قريبة المخرج من الفم، فتحاكي هنا ظهور الشيء المفقود. وعند نطق "الثاء" نحس ضغط الأسنان عليه ضغطاً خفيفاً، وهذا يحاكي لحظة إيجادنا الشيء المفقود، وإخراجه شيئاً فشيئاً إلى أن يظهر، عندها ينتهي الضغط وتبتعد الأسنان بعضها عن بعض.

ومن ترتيب أصوات الحروف وفقاً لترتيب معنى اللفظة قولهم:

شدّ الحبل ونحوه؛ " فالـ "الشين" (١) بما فيها من التفشي (٢) تشبّه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد والجذب، وتأريب (٣) العقد، فيعبر عنه "بالدال" التي هي أقوى من "الشين"،

(١) صفات صوت الشين: غاري احتكاكي مهموس مرقق

(٢) التفشي: انتشار النفس في الفم عند النطق بالشين، حتى يتخيل أن الشين انفرشت. ينظر: ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، ص ٨٦، ٩٤.

(٣) أرب العقد: أحكمه.

لا سيما وهي مدغمة^(١)، فهي أقوى لصنعتها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها^(٢).

فقدّموا "الشين" لأنها تكشف عن ضعف؛ لما تتمتع به من صفة الاحتكاك والهمس والرقّة وهذا بلائم حركة الحبل في بدايته. وصفة النفثي في صوت "الشين" تحاكي حركة الحبل واضطرابه واهتزازه قبل شدّه. ويحتاج عقْد الحبل في النهاية إلى قوة تستمدّها "الدال" من كونها انفجارية مجهورة وخاصة أنها جاءت مضعّفة؛ فضوَعَت القوة.

ومن ذلك أيضا قولهم: "جرّ الشيء بجرّه، قدّموا "الجيم"^(٣) لأنها حرف شديد^(٤)، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعا، ثم عقّبوا ذلك "بالراء"^(٥) وهو حرف مكرر، وكزروها مع ذلك في نفسها. وذلك لأن الشيء إذا جرّ على الأرض في غالب الأمر اهتزّ عليها، واضطرب صاعداً عنها، ونازلا إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق. فكانت "الراء" - لما فيها من التكرير، ولأنها أيضا قد كررت في نفسها^(٦) في (جرّ) و (جررت) - أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها^(٧).

ومع أن "الجيم" أصبحت صوتا احتكاكيا في بعض النطق اللهجي، وهو ما يطلق عليه مصطلح "الجيم الشامية" أو "الجيم المعطشة"، إلا أنها بقيت قوية بسبب جهرها فوافقت هذه الصفة مع أول الجر الذي يحتاج إلى قوة. أما صوت "الراء" فطبيعته الصوتية: التكرار، والجهر الذي لا يكون إلا باهتزاز الوترين الصوتيين فوافق هذا الاهتزاز والتكرار اهتزاز الجسم المجرور فوق سطح الأرض وتكرار هذه العملية. وهكذا كان العربي يصور حركة الحدث وهينته بأصوات حروفه تصويرا سينمائيا أو فوتوغرافيا.

ورأى ابن جني أنك عندما تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه؛ لاحتوائها على الأحرف أنفسها، وإن تباعد شيء من ذلك عن المعنى العام أو المعنى الأصلي أو المعنى الجامع أو شدّ عن أن يدخل في هذا المعنى رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه وحسن القياس. فرأى مثلا أن مادة (ق س و) بأنماطها الستة متشابهة المعنى في العموم مختلفة في الخصوص: (وق س)، (ق و س)، (وس ق)، (س وق)، (س ق و) فجميع ذلك معناه القوة والاجتماع.

(١) مدغمة: مضعّفة

(٢) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٦٣.

(٣) صفات صوت الجيم: غاري احتكاكي مجهور مرقق

(٤) حرف شديد: حرف انفجاري. ذكر القدماء أن "الجيم" صوت شديد (انفجاري)، ثم تطورت "الجيم" مع توالي الأزمان إلى صوت احتكاكي كما يرى المحدثون.

(٥) صفات صوت الراء: لثوي تكراري مجهور

(٦) جاءت مضعّفة تتكون من راثين.

(٧) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٦٤.

منه: القسوة وهي شدة القلب واجتماعه.
 ومنه: القوس لشدتها واجتماع طرفيها
 ومنه: الوقس لابتداء الجرب، وذلك لأنه يجمع الجلد.
 ومنه: الوسق لاجتماعه، ومنه: استوسق الأمر: أي اجتمع، (والثيل وما وسق)^(١): أي جمع.

ومنه (السوق)؛ لأنه يُجمع فيه المسوق بعضه إلى بعض^(٢).
 وذكر ابن جني أمثلة عديدة من هذا الضرب (علاقة الصوت بمعناه) عندما عقد تقاليب (ك ل م) السنة وتقاليب (ج ب ر) على القوة والشدة^(٣)، وتقاليب (ق و ل)، على الإسراع والخفة^(٤)، والخفة^(٤)، وتقاليب (س ل م) على الإصحاب والملاينة^(٥).
 ومنه تركيب: (ع ر ف)، (ع ف ر)، (ر ع ف)، (ر ف ع)، (ف ع ر)^(٦)، (ف ر ع)، فالذي نراه أن المعنى الأصلي لهذه التراكيب هو انكشاف الشيء وظهوره.
 ف عَرَف الشيء: أدركه بحاسة من حواسه.
 و عَفِر الرجل: صار لونه كالعَفَر، و عَفِر الرجل لم تطاوعه قدماه في السير. ولا تكون هذه الأمور إلا بانكشافها وظهورها.
 و رَعَف الشيء: سال وسبق. و رَعَف فلان أنفه: خرج الدم من أنفه.
 و رَفَع الشيء: حمله ونقله. ولا يكون حَمَل الشيء إلا بانكشافه وظهوره. و رَفَع الحديث إلى قائله: أذاعه وأظهره.

- (١) سورة الانشقاق، آية ١٧.
- (٢) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٣٤، ١٣٦-١٣٧.
- (٣) المصدر السابق، ج ١، ص ١٨-١٤، وينظر: ج ٢، ص ١٣٥-١٣٦.
- (٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٥-١٣.
- (٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٧-١٣٨. ومن أمثلة هذا الضرب قول العلوي في كتابه: "نُصْرَةُ الإغريض في نُصْرَةِ القريض" إن تركيب (ب ل غ) معناه إدراك ما يحاوله الإنسان عن قوة، وتمكّن من قدرة. فمن ذلك: بلغت الأمر والغرض إذا وقفت على غايته، وأشرفت على نهايته، ولولا قوتك عليه لما وصلت إليه. ومن ذلك: البلاغة، فإنك إذا وقفت على غايات الكلام ونهايات المعاني، دلّ ذلك على قُدْرَتك في الأدب وتمكّنك من لغة العرب. فإن أوجزت أو أسهبت كنت فيه بليغا وكان ما أتيت به بلاغة. ومن ذلك (غ ل ب) فإن الغلب لا يكون إلا عن قوة وتمكّن وقدرة. ومن ذلك (ل غ ب) اللغوب هو التعب ولا يكون ذلك إلا عن دأب وشدة حركة تدل على قوة وقدرة على الحركات وتمكّن من السعي العنيف في سائر الأوقات. ومن ذلك (ب غ ل) يقال: بغل الفرس إذا سار بين العنق والهملجة، ومنه التبغيل هو مشي سريع فيه اختلاف ولا يكون ذلك إلا عن قوة وقدرة على السعي. ينظر: العلوي، المظفر بن الفضل، نُصْرَةُ الإغريض في نُصْرَةِ القريض، تحقيق: نهى عارف الحسن، ط ٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ص ١٩-٢٠.
- (٦) (ف ع ر) تركيب مُهْمَل غير مستخدم.

وَفَرَع الشيء: طال وعلا^(١). والطول والعلو ظاهر للعيان مكشوف.
ومن ذلك تركيب: (ن ف د)، (ن د ف)، (د ن ف)، (د ف ن)، (ف د ن)، (ف ن د) فجميع ذلك معناه الوصول إلى خواتم الأمور ونهايتها بعد عمل يتضمن حركة.
فَنَفِد الشيء: فني وذهب
وَنَدَفَت الدابة: أسرعت في سيرها، و نَدَفَت السماء بالمطر والتلج: أرسلته ورمته به.
وَدَنِف المريض: اشتد مرضه وأشفى على الموت. و دَنِف الأمر: دنا
وَدَنِفَت الشمس: دنت للغروب واصفرت.
وَدَفَن الشيء: ستره وواراه، ويقال دَفَن الميت، و دَفَن الحديث: كتبه وستره.
و دَفَن الإبل ونحوها: سمنها
وَفَنِد: ضعف رأيه من الهرم وكذب وأنى بالباطل. ويُقال: فَنَد رأى فلان: أضعفه وأبطله. و فَنَد في الشراب عكف عليه. وكل ذلك ينضمّن حركة في اللسان والفم.

وفي باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني

ربط ابن جني بين الصوت ومعناه معتمداً على تماثل الأصوات في المخرج أو تقاربها، الذي يؤدي بدوره إلى اتفاق في المعنى أو تقاربه. وقد يقع التصاقب في حرف واحد، وحرفين، وفي ثلاثة حروف.

من أمثلة تصاقب الحرف الواحد قولهم: السَّقَر والصَّقَر والزَّقَر، قال الأصمعي:

"اختلف رجلان من العرب في (السَّقَر)، فقال أحدهما: "بالصاد" وقال الآخر: "بالسين"؛ ففتراضيا بأول من يقدم عليهما، فإذا راكب فأخبراه ورجعا إليه، فقال: ليس كما قلت، ولا كما قلت: إنما هو (الزَّقَر)"^(٢).

(١) ينظر مادة (ع ر ف) وتقايبها الستة المعجم الوسيط.

(٢) ابن جني، الخصاصن، ج ١، ص ٣٧٥، وينظر: ابن جني، المحتسب، ج ٢، ص ٢٨٢-٢٨٣.

ومن باب اتفاق الصوت والمعنى لاتفاق الأصوات في المخرج:

– صقل وسقل، صقل السيف وسقله، سيف صقيل وسقيل

– الصَّلْهَب والسَّلْهَب: الطويل

– بصق وبسق وبزق: بصق الرجل وبسق وبزق وهو البصاق والبزاق.

– لصق ولسق ولزق

– صرط وصرط، ويقال: الصراط والسرط والزُّراط

"وشرط هذا الباب أن تكون "السين" متقدمة على هذه الحروف لا متأخرة بعدها...، وأن تكون "السين" هي الأصل فإن كانت "الصاد" هي الأصل لم يجز قلبها سينا، لأن الأضعف يقبل إلى الأقوى ولا يقبل الأقوى إلى

"فالزاي" أخت "السين" كما أن الصاد أختها فتماثل مخرجها: (أسنانية لثوية) أدى إلى اتفاق في المعنى.

"ومن تقارب المعنى لاتفاق المخرج في الحرف الواحد قولهم: في تركيب (ع ص ر) و (ع ر) فالعصر شدة تلحق المعصور، والعسر شدة الخلق، والتعزير للضرب؛ وذلك شدة لا محالة، فالشدة جامعة للأحرف الثلاثة"^(١). فمخرج الصاد والسين والزاي: (أسناني لثوي).

ومثله "تركيب (ح م س) و (ح ب س) قالوا: حبست الشيء وحمس الشر إذا اشتد. والتقاؤهما أن الشيين إذا حبس أحدهما صاحبه تمانعا وتعازًا، فكان ذلك كالشر يقع بينهما"^(٢). فالميم أخت الباء لاتفاق مخرجيهما: الشفتين.

واستعملوا "تركيب (ج ب ل) و (ج ب ن) و (ج ب ر) لتقاربها في موضع واحد، وهو الالتئام والتماسك. منه الجبل لشدته وقوته، وجبن إذا استمسك وتوقف وتجمع، ومنه جبرت العظم ونحوه أي قوته"^(٣). فمخرج اللام والنون والراء من اللثة فالتقت في المعنى.

ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آزًا)^(٤). أي تزعجهم ويُفلقهم. فهذا في معنى تهزهم هزًا، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. "الهمزة" أخت "الهاء" لتماثل مخرجيهما: الحجرية.

وكانهم خصوا هذا المعنى "بالهمزة" لأنها أقوى من "الهاء"^(٥)، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا حراك به؛ كالجدع وساق الشجرة، ونحو ذلك"^(٦).

"الهمزة" أقوى من الهاء؛ لأنها انفجارية "والهاء" احتكاكية.

ومنه قراءة ابن مسعود: (فَقَبِضْتُ قَبِضَةً)^(٧) "بالصاد" فيها "قال أبو الفتح: القبض "بالضاد"^(٨) معجمة: باليد كلها، وبالصاد غير معجمة بأطراف الأصابع .. وذلك أن الضاد

الأضعف"، ينظر: البطلبوسى، الفرق بين الحروف الخمسة، ص ٤٩١-٤٩٣، وينظر أيضًا الكتاب نفسه باب الظاء والضاد:

- العظ والعض: شدة الحرب والزمان، ص ١٨٥.

- ظحى وضحى وظبي وضيبي، ص ١٨٧.

(١) ابن جنى، المحتسب، ج ٢، ص ٦.

(٢) ابن جنى، الخصائص، ج ٢، ص ١٤٧.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٩.

(٤) سورة مريم، آية ٨٣.

(٥) صفات صوت الهاء: حنجري احتكاكي مهموس مرقق

(٦) ابن جنى، الخصائص، ج ٢، ص ١٤٦.

(٧) الآية الكريمة (فَقَبِضْتُ قَبِضَةً) سورة طه، آية ٨٣، وقرأها "بالضاد" أيضا: أبي بن كعب وعبد الله بن الزبير، ومضر بن عاصم والحسن وقتادة.

(٨) صفات صوت الضاد: أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم

لتفسيها واستطالة مخرجها جُعِلت عبارة عن الأكثر، و"الصاد" لصفاتها وانحصار مخرجها وضيق محلها جُعِلت عبارة عن الأقل^(١).

"فالصاد" أخت "الضاد" فمخرج كل منهما: (أسناني لثوي). لكن "الضاد" أقوى من "الصاد" لأنها جمعت القوة من ثلاث صفات؛ الجهر والتفخيم والانفجار، ناهيك عن أنها تتميز عن الصاد بصفة الاستطالة – وهي امتداد الصوت من أول حافة اللسان على آخرها – فلام الصوت القوي المعنى القوي، والصوت الضعيف المعنى الضعيف.

ومن تقارب المعنى لتقارب المخرج في الحرف الواحد قولهم: العَسْفُ والأسْفُ^(٢)؛ و"العين"^(٣) أخت "الهمزة" كما أنّ الأسْفَ يَعْسِفُ النَّفْسَ وَيَنَالُ مِنْهَا، والهمزة أقوى من العين؛ كما أنّ أسْفَ النَّفْسِ أَعْلَظُ مِنَ التَّوَدُّدِ وَالْعَسْفِ، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين^(٤).

فالعين أخت الهمزة لتقارب مخرجيهما؛ فمخرج "العين": الحلق، ومخرج "الهمزة": الحنجرة. لكن "الهمزة" أقوى من "العين" لأنها انفجارية و"العين" احتكاكية^(٥).

- (١) ابن جني، المحتسب، ج ٢، ص ٥٥.
- (٢) في اللسان (عسف): وعسف فلاناً فلانا عسفاً: ظلّمه، وعسف السلطان يعسِفُ وفُ واعسّف وتَعسّف: ظلّم. (أسف): الأسف: المبالغة في الحزن والغضب.
- (٣) صفات صوت العين: حلقي احتكاكي مجهور مرقق.
- (٤) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ١٤٦.
- (٥) وقد أشار البطليوسي في كتابه "الفرق بين الحروف الخمسة" إلى المعاني المختلفة لاختلاف صفات حروفها في ألفاظ تتفق في المخرج، فأحصى منها عشرين موضعاً تعتبر من الأقيسة الضابطة تقاسمتها أبواب كتابه: منها مادة (الفظ والفض والفض) – فتقاربت معانيها والتقت في موضع واحد هو التفرق والانفراد – لتماثل مخرج الحرفين: "الطاء" و"الذال": (أسناني) وتقاربت مع مخرج "الضاد": (أسناني لثوي) – فاستخدمت العرب الطاء فيما كان معناه راجعاً إلى الخشونة والصعوبة والعظ. وأما "الضاد" فاستخدمت فيما كان معناه راجعاً إلى الكسر والتفرق، ومنه سُميت الفِصّة لأنها تُقَطع من المعدن، وأما "الذال" فاستخدمت فيما كان معناه راجعاً إلى معنى الانفراد والشذوذ. ص ١٥٥-١٥٦.
- وهذا التوزيع في المعاني راجع إلى صفات أصوات هذه الحروف:
- الطاء: أسناني احتكاكي مجهور مفخم، الضاد: لثوي احتكاكي مهموس مفخم، الذال: أسناني احتكاكي مجهور مرقق
- فإذا رتبنا الأصوات السابقة بناء على قوتها حسب صفاتها تأتي على الترتيب الآتي: "الطاء" ثم "الضاد" ثم "الذال". فجاءت "الذال" أضعف من "الطاء" و"الضاد" فجعلوها للمعنى الأضعف. أما قوة "الطاء" فجاءت من صفتين: الجهر والتفخيم، لهذا جاءت للمعنى الأقوى. أما قوة "الضاد" فجاءت من جهة التفخيم و"الذال" من جهة الجهر. لكن "الضاد" تميزت عن "الذال" في صفة الاستطالة فأكسبها ذلك قوة أخرى إلى جانب قوة تفخيمها فجاء ترتيبها الثاني.

ومن أمثلة تصاقب حرفين لحرفين

قولهم: " (سَ حَ لَ) ^(١) في الصوت و (زَ حَ رَ) ^(٢)، و "السين" أخت "الزاي" كما أن "اللام" أخت "الراء" ^(٣). فمخرج هذه الأصوات لثوية.

وقولهم: (جَ لَ فَ) و (جَ رَ مَ) فهذا للفتش وهذا للقطع، وهما متقاربان معنى ^(٤). فاللام أخت الراء لتمائل مخرجيهما: اللثة، و "الفاء" أخت "الميم" لتقارب مخرجيهما؛ "الفاء": شفوية أسنانية، و "الميم": شفوية.

ومن أمثلة تصاقب الحروف الثلاثة

قولهم: عَصَرَ الشَّيْءَ َ وقولهم أزله: إذا حبسته، والعَصْرُ صَرْبٌ من الحبس، وذاك من (ع ص ر) وهذا من (أ ز ل) ^(٥)، و "العَيْن" أخت "الهمزة" لتقارب مخرجيهما "فالعَيْن" حلقيّة حلقيّة و "الهمزة" حنجريّة، و "الصاد" أخت "الزاي"، و "اللام" أخت "الراء" ^(٦)، لتمائل مخرجها؛ فمخرج "اللام" و "الراء" اللثة ومخرج "الصاد" و "الزاي" أسناني لثوي.

وهكذا كان ابن جنّي في تعامله مع معاني الألفاظ ينطلق من طبيعة أصواتها النطقية وخصائصها الفيزيائية والمادية.

وتتضح العلاقة بين الصوت ومعناه عندما ربط ابن جنّي بين الأصوات الإنسانية وبين أصوات الطبيعة من جهة، وأصوات الكائنات الحيوانية وغيرها من جهة أخرى؛ فنجده يلائم بين الصوت وعلاقته بصوت الطائر في الاستطالة والقطع، "فالراء" مكررة مستطيلة وصوت الجندب مستطيل فجعلت له صرّاً شديدة. وصوت البازي مثلاً متقطع ففطعت "الراء" فكانت صرّاً، يقول في ذلك: "كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً فقالوا: صرّاً، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا صرّاً" ^(٧).

وقد ارتضى بعض علماء العربية هذا الاتجاه بقول ابن جنّي، "وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطيب، ونحو ذلك ثم ولدت اللغات من ذلك فيما بعد" ^(٨).

(١) في اللسان (سحل): والمسحل: الحمار الوحشي، والسحيل والسحال الصوت الذي يدور في صدر الجمار..

(٢) في اللسان (الزحير والزحار والزحارة: إخراج الصوت أو النَّفَسَ بآتين عند عملٍ أو شدة).

(٣) ابن جنّي، الخصائص، ج ٢، ص ١٤٩.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٩.

(٥) في اللسان (أزل): الأزل: الضيق والشدة، والأزل: الحبس، وأزله يأزله أزالاً: حبسه.

(٦) ابن جنّي، الخصائص، ج ٢، ص ١٤٩.

(٧) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٢.

(٨) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧-٤٨.

وتقول العرب في حكاية صوت حوافر الخيل على الأرض: **حَبِطْفَطِق** ومثلها **الدَّفْدَقَة** و**شَيْب شَيْب** حكاية جَرَع الإبل الماء، وقالت العرب: **غَاق غَاق** لصوت الغراب، و**طاق طاق** لصوت الضَّرْب و**الطَقْطَقَة** حكاية ذلك، و**غِق غِق** حكاية غليان القَدْرِ^(١).

وإذا أخرج المكروب أو المريض صوتاً رقيقاً فهو **الرَّنين**، فإن أخفاه فهو **الهنين**، فإن أظهره فخرج خافياً فهو **الحنين**، فإن زاد فيه فهو **الأتين**، فإن زاد في رفعه فهو **الخنين**^(٢).

والتكرار في نطق "**الراء**" يذكر بخير الماء، والاحتكاك والرخاوة في نطق "**الحاء**" يذكر بفحيح الأفعى كما أنّ رخاوة "**الفاء**" تُذَكَّر بحفيف الشجر، فكل من "**الراء**" و"**الحاء**" و"**الفاء**" تحمل في صوتها ما يوحي بمعنى الكلمة التي هي فيها.

ومن الألفاظ الدالة على الأصوات: **فرقة الأصابع**، و**شخير النائم** و**دندنة المتكلم** الذي يُخفي كلامه، و**رنين القوس**، و**طنين الذباب** و**صرير الباب والقلم**، و**طنطنة الأوتار**، و**قلقلة الففل والمفتاح**، و**وسواس الحلي**...^(٣) فكثيرة هي الأصوات التي تحاكي معانيها.

وقد أَلَف ابن سينا رسالة سماها (**أسباب حدوث الحروف**) ذكر في فصل^(٤) من فصولها أنّ كل حرف من الحروف الهجائية يحكي صوتاً من أصوات الطبيعة:

فالفاء: تُسمع عن حفيف الأشجار وما أشبهها.

والباء: عن قَلَع الأجسام اللينة المتلاصقة بعضها عن بعض.

واللام: عن لطم الماء باليد، أو زج الإصبع فيه بعنف يوغل فيه الهواء، ثم ينثني صاعداً مستتبعا رطوبة.

والتاء: عن قرع اليد بإصبع بقوة.

والكاف: يسمعها عن قرع جسم صلب بجسم صلب.

والضاد: عن انطلاق فقايق كبار في الرطوبات.

ويستطرد ابن سينا ليذكر بقية أصوات الحروف وما يقابلها من الأصوات الطبيعية^(٥).

(١) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ضبطه وعلق عليه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٩م/ص ٢٤٧.

(٢) السيوطي، **المزهر**، ج ١، ص ٦٢، وينظر: الثعالبي، **فقه اللغة**، ص ٢٤١.

(٣) ينظر: الباب العشرون من الأصوات وحكايتها من كتاب **فقه اللغة وأسرار العربية** للثعالبي.

(٤) سماه: في أنّ هذه الحروف قد تُسمع من حركات غير نطقية.

(٥) ابن سينا، أبو بكر الحسين بن عبد الله، **أسباب حدوث الحروف**، تحقيق: محمد حسان الطيان، يحيى مير علم، ط ١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٣م/ص ٩٣-٩٧، وينظر في الرواية الثانية، ص ١٣٣-١٣٧.

وتابع ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) عمل ابن جني؛ حيث رأى أن المناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولا وقصرًا وخفة وثقلًا... وشدة ولينا^(١)، ونقل عنه قوله: "ولقد مكثت برهة يرد عليّ اللفظ لا أعلم موضوعه، فأجد معناه من قوة لفظه، ومناسبة تلك الحروف لذلك المعنى. ثم أكتشفه فأجده كما فهمته أو قريباً منه"^(٢).

فحكى هذا لشيخه ابن تيمية عن ابن جني فوجده يسير على خطّه حيث قال: وأنا كثيرا ما يجري لي ذلك، ثم ذكر له فصلا عظيم النفع في التناسب بين اللفظ والمعنى^(٣).

ومثّل ابن القيم للعلاقة بين الصوت ومعناه فقال: "وتأمل قولهم: "حجر"، و"هواء" كيف وضعوا للمعنى الثقيل الشديد هذه الحروف الشديدة ووضعوا للمعنى الخفيف: الهواء التي هي من أخف الحروف... وانظر في تسميتهم الغليظ الجافي بالعتلّ والجعظري والجواظ، كيف تجد هذه الألفاظ تنادي ما تحتها من المعاني"^(٤).

واعلم أن المتكلم يُشار إليه بلفظ مؤلف من همزة ونون "أنا"، أما الهمزة فلأن مخرجها من الصدر وهو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم، إذ المتكلم في الحقيقة محله وراء حبل الوريد. قال الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)^(٥)... فإذا كان المتكلم على الحقيقة محله هناك وأردت من الحروف ما يكون عبارة عنه، فأولاهها بذلك ما كان مخرجها من جهته وأقرب المواضع إلى محله وليس إلا "الهمزة" أو "الهاء" - لأن مخرجيهما من داخل الحلق الحنجرة - و"الهمزة" أحق بالمتكلم لقوتها بالجهر والشدة، وضعف "الهاء" بالخفاء؛ فكان ما هو أجهر وأقوى أولى بالتعبير عن اسم المتكلم الذي الكلام صفة له وهو أحق بالاتصاف به. وأما اتصالها مع النون؛ فلما كانت "الهمزة" بانفرادها لا تكون اسما منفصلا كان أولى ما وصلت به "النون"^(٦) أو بحرف المد واللين؛ إذ هي أمهات الزوائد. ولم يمكّن حروف المد مع "الهمزة" لذهابها عند التقاء الساكنين نحو "أنا الرجل"، فلو حذف الحرف الثاني لبقيت "الهمزة" في أكثر الكلام منفردة مع "لام التعريف" فتلتبس بالألف التي هي أخت اللام^(٧)، فيختل أكثر الكلام، فكان أولى ما قرن به النون لقربها من حرف المد واللين، ثم ثبتوا النون لخبائها بالألف في حال السكت، أو بـ "هاء" في لغة من قال: أنه^(٨).

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، ج ١، ضبط نصه وخرّج آياته: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، صيدا، ١٩٩٤م/ص ٨٩.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، التفسير القيم، جمعه المحقق: محمد الندوي، ١٩٤٩م/ص ٢٠٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٥) سورة ق، آية ١٦.

(٦) صفات صوت النون: لثوي أنفي مجهور.

(٧) يقصد ألف الوصل التي تلازم لام التعريف.

(٨) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج ١، ص ١٤٥-١٤٦.

أما العلاقة بين حرفي ضمير الغائب (هو) ومعناه ففسرها ابن القيم بقوله: "وأما ضمير الغائب المنفصل فـ "هاء" بعدها "واو"؛ لأن الغائب لما كان مذكوراً بالقلب واستغني عن اسمه الظاهر بتقدمه كانت "الهاء" التي مخرجها من الصدر – الحنجرة – قريباً من محل الذكر أولى بأن تكون عبارة على مذكور بالقلب، ولم تكن "الهمزة" لأنها مجهورة شديدة فكانت أولى بالمتكلم الذي هو أظهر، و"الهاء" لخفائها أولى بالغائب الذي هو أخفى وأبطن، ثم وصلت "الواو" لأنه لفظ يرمز به إلى المخاطب ليعلم ما في النفس من المذكور والرمز بالشفتين، و"الواو" مخرجها من هناك فخصت بذلك"^(١).

وبيّن ابن القيم هذه العلاقة في اسمي الإشارة "ذلك" و "تلك" فقال: "فخصت "الذال" بهذا الاسم لأنها الخارج من طرف اللسان والمبهم مُشار إليه، فالمتكلم يشير نحوه بلفظه أو بيده ويشير مع ذلك بلسانه؛ فإن الجوارح خدم القلب، فإذا ذهب القلب إلى شيء ذهاباً معقولاً ذهبت الجوارح نحوه ذهاباً محسوساً، والعمدة في الإشارة في مواطن التخاطب على اللسان، ولا يمكن إشارته إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان التي هي آلة الإشارة دون سائر أجزائه فإما "الذال" أو "التاء" فـ "التاء" مهموسة... والمجهور... من الحروف أولى منها للبيان، و"الذال" مجهورة فخصت بالإشارة إلى المذكر، وخصت "التاء" بالإشارة إلى المؤنث لأجل الفرق. وكانت "التاء" به أولى لهمسها وضعف المؤنث، ولأنها قد ثبتت علامة التأنيث في غير هذا الباب"^(٢). ويتساءل ابن القيم هنا لِمَ لم يُشركوا "المؤنث مع المذكر في "الذال" فآكتفوا بالكسرة فرقاً بينهما"^(٣)؟ فقالوا: ذلك للإشارة للمذكر و "ذلك" للإشارة للمؤنث. وتتساءل نحن نحن هذا السؤال خاصة أن "التاء" صوت قوي من جهة انفجاره و"الذال" صوت ضعيف من جهة احتكاكه. وأن الكسرة علامة تأنيث عند العرب لانخفاضها^(٤) تقول: لأن "الذال" ليست من الأصوات الجميلة التي تعذب في الفم وتلذذ في السمع، وتحريكها بالكسرة الثقيلة يزيد لها ثقلاً وقبحاً. ولأن "التاء" ثبتت علامة تأنيث عند العرب فهي تصطدم بالأسنان مع ميله الفك الأسفل إلى أسفل عند نطقها، وهذا الوضع يُضعف من قوتها. وهذا الوضع يلائم المؤنث لرقته.

وتلمس ابن القيم العلاقة في حرف "حتى" ومعناه وفي لفظة "حُب" ومعناها فلاحظ أن أصوات حروفهما تلائم معنيهما. أما حرف "حتى" فموضوعه للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها، وغاية كل شيء حدّه. وذلك كان لفظها كلفظ الحدّ، فإنها "حاء" قبل "تاءين" (التاء المشددة)، كما أن الحدّ جاء قبل "دالين" (الدال المشددة)، و"الذال" كـ "التاء" في المخرج والصفة إلا في الجهر فكانت لجهرها أولى بالاسم لقوته، و"التاء" لهمسها أولى بالحرف لضعفه^(٥).

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج ١، ص ١٤٩.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٩.

(٤) للمزيد من التوضيح ينظر بحثنا: أصوات الحركات العربية: دراسة دلالية جمالية. منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية الأردنية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، م ٦، ع ٣، رجب ١٤٣١هـ/تموز ٢٠١٠م.

(٥) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج ١، ص ١٦٢.

وفي لفظة "حُب"، تأمل كيف أتوا هذا المسمى بحرفين أحدهما "الحاء" التي هي أقصى الحلق: مبدأ الصوت، ومخرجها قريب من مخرج "الهمزة" من أصل المصدر الذي هو معدن الحب وقراره، ثم قرنها بـ "الباء" التي هي من الشفتين وهي آخر مخارج الصوت ونهايته. فَجَمَعَ الحرفان بداية الصوت ونهايته. كما اشتمل معنى الحب على بداية الحركة ونهايتها. فإن بداية حركة المحب من جهة محبوه ونهايتها إلى الوصول إليه، فاختروا له حرفين هما بداية الصوت ونهايته^(١).

ثم انظر في قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ)^(٢) لا خلاف أن لفظ "اللهم" معناها: يا الله، ولهذا لا تُسْتَعْمَلُ إلا في الطلب؛ فلا يقال: اللهم غفور رحيم؛ بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني. واختلف النحاة في الميم المشددة من آخر الاسم^(٣). ولم يَسُغْ لابن القيم تقدير النحاة، فنظر إليها نظرة صوتية دلالية فرأى أن "الميم" تدل على الجَمْع وتقتضيه، ومخرجها يقتضي ذلك^(٤). "فالميم حرف شفهي يجمع الناطق به شفثيه، فوضعت العرب علماً على الجمع، فقالوا للواحد: أنت، فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: أنتم. وقالوا للواحد الغائب: هو، فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: هم. وكذلك في المتصل يقولون: ضربت، وضريتم، وإياك، وإياكم، وإياه، وإياهم، ونظائره، نحو: به وبهم. ويقولون للشيء الأزرق: أزرق، فإذا اشتدت زرقته واجتمعت واستحكمت قالوا: زُرْقُم"^(٥). ثم يستطرد في بيان العلاقة بين "الميم" ومعانيها فيقول: "وتأمل الألفاظ التي فيها "الميم"، كيف تجد الجمع معقوداً بها، مثل: لَمَّ الشيء يَلْمُهُ إذا جمعه. ومنه لَمَّ اللهُ شَعَثَهُ: أي جمع ما تفرق من أموره. ومنه قولهم: دار لمومة: أي تلم الناس وتجمعهم. ومنه: الأكل اللُّمُّ، جاء في تفسيرها: يأكل نصيبه ونصيب صاحبه. وأصله من اللُّم، وهو الجمع..."^(٦).

ومنه: التوأم للولدين المجتمعين في بطن.

ومنه الأم: وأم الشيء: أصله الذي تفرع منه فهو الجامع له.

ومنه: الإمام الذي يجتمع المقتدون به على أتباعه.

ومنه رم الشيء يَرُمُه إذا أصلحه وجمع متفرقه.

قيل: ومنه سمى الرمان: لاجتماع حبه وتضامه.

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) سورة آل عمران، آية ٢٦.

(٣) ينظر تفسير النحاة فيها: ابن قيم الجوزية، التفسير القيم، ص ٢٠٠٢-٢٠٥.

(٤) صفات صوت الميم: شفوي أنفي مجهور. لقد شبه الزمخشري نفسه "بالميم"، وشبه الأيام التي لم تضمه وتحنو عليه بالأفصح الأعلم فقال:

ومذ أفصح الجهال أيقننت أنني أنا "الميم" والأيام أفصح أعلم

فلو طلبنا من الأفصح الأعلم: مشقوق الشفتين السفلى والعليا أن ينطق حرف "الميم" لتعدّر عليه، وذلك لأن المكان الذي يخرج منه مشقوق ولا ينطق به إلا والشفتان متضامتان.

(٥) ابن قيم الجوزية، التفسير القيم، ص ٢٠٨.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٠٨.

ومنه ضم الشيء يضمه إذا جمعه.

ومنه هم الإنسان وهمومه؛ وهي إرادته وعزائمه التي تجتمع في قلبه^(١) و"إذا علم هذا من شأن "الميم"، فهم قد ألحقوها في آخر هذا الاسم "اللهم" الذي يسأل العبد به ربه سبحانه في كل حاجة، وكل حال، إيداناً بجمع أسمائه تعالى وصفاته. فإذا قال السائل: اللهم إني أسألك، كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى بأسمائه وصفاته. فأتى بـ "الميم" المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم؛ إيداناً بسؤاله تعالى بأسمائه كلها"^(٢).

وإذا سأل أحدهم لِمَ لا يصح أن نضع "الباء" بدلاً من "الميم" في لفظة "اللهم"؛ فـ "الباء" أخت "الميم" فهو حرف شفهي يجمع الناطق به شفثيه؟ نقول: بسبب الانفجار في صوت "الباء" تنفرج الشفتان سريعاً بعد ضمة شديدة قوية، وهذا لا يناسب مقام الدعاء والطلب. أما نطق "الميم" فيحدث بانطباق الشفتين على بعضهما في ضمة متأنية وانفتاحهما بتأن عند خروج النفس، وهذا يناسب مقام الدعاء لله سبحانه. ولعلنا من هنا نستطيع أن نجيب عن سؤال إبراهيم أنيس: لماذا اتخذت معظم اللغات من "الباء" صوتاً أساسياً للتعبير عن معنى الأبوة، ومن "الميم" أساساً للتعبير عن معنى الأمومة، ولمَ لم تكن المسألة معكوسة فتكون "الميم" أساس الأبوة في تلك اللغات و"الباء" أساس الأمومة^(٣).

ولابن القيم ملحظ لطيف في التنبيه إلى العلاقة بين أصوات لفظ "الله" ومعناه حيث يقول: "الحكمة في وجود الألف في أوله أنها من أقصى مخارج الصوت - الحنجرة - قريباً من القلب الذي هو محل المعرفة إليه، ثم "الهاء" في آخره مخرجها من هناك أيضاً لأن المبتدأ منه والمعاد إليه، والإعادة أهون من الابتداء. وكذلك لفظ "الهاء" أهون من لفظ "الهمزة". لأن الهاء احتكاكية والهمزة انفجارية.

ومن هذا الباب حروف التهجي في أوائل سور القرآن الكريم^(٤) حيث كشف ابن القيم دلالتها الصوتية من حيث مخرج حروفها وعلاقته بمعانيها، فكانت له نظرات صائبة وطريفة

(١) المصدر السابق، ص ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٣) أنيس، إبراهيم من أسرار اللغة، ط ٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦م/ص ١٢٥.

"والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما وبابا؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان وإنما يظهران بالتقاء الشفتين"، ولأنهما من أخف الحروف وأرقها على اللسان وعلى الأذن. ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج ١، دار الجيل، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٦٢.

(٤) هي في أوائل ثلاثين سورة، وهذه الحروف على خمسة أعداد:

- أحادي، ورد في عشر سور: (ق) في سورة ق، و(ص) في سورة ص، و(ن) في سورة القلم.
- ثنائي، في عشر سور: (طه) في سورة طه، و(طس) في النمل، و(يس) في سورة يس، و(حم) في غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجنات والأحقاف.
- ثلاثي في ثلاث عشرة سورة: (الم) في البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. و(الر) في يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر. و(طسم) في الشعراء والقصص.

فيها قائلاً: "تأمل سيرَّ (ألم) كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة؛ فالألف إذا بدأ بها أولاً كانت همزة، وهي أول المخارج من أقصى الصدر، واللام^(١) من وسط مخارج الحروف، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم. وهذه الثلاثة هي أصول مخارج الحروف؛ أعني الحلق واللسان والشفيتين. وترتيبها في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية... وهو أن للألف البداية واللام التوسط والميم النهاية، وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الحلق ونهايته وتوسطه، فمشتملة على تخليق العالم وغايته وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر. فتأمل ذلك في سورة البقرة وآل عمران وتنزيل السجدة وسورة الروم^(٢). والعنكبوت ولقمان. ثم قال: "وتأمل اقتران "الطاء" بـ "السين" و "الهاء" في القرآن، فإن "الطاء"^(٣) جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها، وهي الجهر والشدة والاستعلاء^(٤) والإطباق^(٥) و - الإصمات -^(٦)، والسين مهموس رخو^(٧) مستقل^(٨).

- رباعي، اثنان: (المص) في الأعراف، و(المر) في الرعد.
 - خماسي، اثنان: (كهيعص) في مريم، و(حم عسق) في الشورى.
 وبالتأمل في عدد هذه الحروف بعد حذف المكرر منها نحصل على (١٤) حرفاً، نصف عدد الحروف الهجائية في اللغة العربية، جمعها بعض العلماء في عبارة لطيفة وهي (نص حكيم قاطع له سر) وهي عبارة كاشفة ذات دلالة وإشارة إلى وظيفة هذه الأحرف ومهمتها. كما يلحظ بالتأمل - أيضاً - إن تعداد مجموعات هذه الحروف التي ذكرناها أنفاً (ن، ق، ألم، المص ...) تمثل هي الأخرى (١٤) مجموعة حرفية.
- (١) صفات صوت اللام: لثوي جانبي مجهور.
 (٢) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج ٣، ص ١٣٤.
 (٣) عدّ القدماء "الطاء" مجهورة وعدّها المحدثون مهموسة، وعند القدماء هي النظير المفخم للدال، وعند المحدثين النظير المفخم للتاء.
 (٤) الاستعلاء: الاستعلاء والعلو: ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى وحروفه (ص، ض، ط، ظ، غ، خ، ق).
 (٥) الإطباق: ارتفاع مؤخرة اللسان صوب الحنك الأعلى بحيث ينطبق الصوت مع مؤخرة اللسان مع الحنك مع حروف الإطباق الأربعة: (ص، ض، ط، ظ).
 فالفرق بين الاستعلاء والإطباق أن اللسان عند الاستعلاء لا ينطبق بالحنك ويكون ذلك مع حروف الاستعلاء (غ، خ، ق) وإنما يستعلي الصوت فيها فحسب، وينطبق مع حروف الإطباق الباقية (ص، ض، ط، ظ).
 (٦) صفة الإصمات لم يذكرها ابن القيم في نصه هذا مع أنه ذكر أن الطاء جمعت خمس صفات، لكننا وجدناها في نص الزركشي، ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، ج ١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م/ص ١٦٩ = والإصمات ضد الذلاقة وهو صفة للحروف الهجائية - ما عدا حروف الذلاقة - ويصعب على اللسان النطق بالحروف المصمتة، لذلك لا تخلو اللفظة في العربية إذا كانت على أربعة أحرف أو خمسة من أن يكون فيها حرف فأكثر من الحروف المذلفة: (ل، ن، م، ر، ب، ف) والتي تعني القدرة على الانطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم. ينظر: أنيس، إبراهيم. جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ١٥، ١٩٦٣م/ص ٤٤-٤٥.
 (٧) الرخو: الصوت الاحتكاكي.
 (٨) مستقل: ضد الاستعلاء: انخفاض اللسان عند خروج الحرف من الحنك إلى قاع الفم، وتشير هنا إلى ملحظين هما الترقيق والتفخيم؛ فالترقيق مرتبط بحروف الاستفال؛ لأنها مرققة جميعاً، والتفخيم مرتبط بحروف الاستعلاء لأنها مفخمة جميعاً.

صفيري^(١) منفتح^(٢)، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها كالمسِين والهَاء، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف^(٣).

ثم تنبّه ابن القيم إلى العلاقة بين الصوت "قاف" والكلمات المبنية على ذلك الصوت فناسب ذلك الغرض من السورة. فانظر كيف تجد السورة مبنية على كلمة صوت "قاف" وعلى الكلمات القافية من ذكر القرآن وذكر الخلق، وتكرير القول ومراجعته مراراً، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين قول العبد، وذكر الرقيب، وذكر السائق والقرين، والإلقاء في جهنم والتقديم بالوعيد، وذكر المتقين وذكر القلب والقرون والتنقيب في البلاد، وذكر القيل مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها وبُسوق النخل والرزق وذكر القوم وحقوق الوعيد^(٤) فذكر هذا الصوت قد تكرر أربعاً وخمسين مرة في خمس وأربعين آية زيادة على الحرف الاستفتاحي.

وتنبه من جهة أخرى إلى أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في صوت "القاف" من "الشدة والجهر والعلو والانفتاح"^(٥).

وصفات صوت "القاف" عند المحدثين (لهوي انفجاري مهموس مفخم).

فاختلف القدماء والمحدثون في صفتي الجهر والهمس^(٦). ومع هذا نستطيع أن نتبين العلاقة العلاقة بين صفات هذا الصوت عند نطقه بهذا التكرار في شتى الألفاظ وبين معاني السورة؛ فصفتا الانفجار والتفخيم تليقان بمعاني الوعيد الشديد، والعذاب الأليم، والحساب الرقيق، وقضية الموت والبعث، والحشر والحساب، وإنكار المشركين له.

وأنت عندما تسمع صوت "القاف" يتكرر أكثر من مرة في هذه السورة، فكأنك تسمع شق الأجسام وقلعها دفعة واحدة وفصلها والإبادة عنها، وهذا يتناسب مع قضية البعث والحشر ومع معاني الوعيد الشديد والعذاب الأليم والحساب الدقيق، بل لا يوجد صوت غير "القاف" أكثر ملائمة لهذه المعاني.

وجاءت صفة الهمس مناسبة لمعاني هذه السورة من جهة أخرى؛ فالملاحظ هنا أن القرآن الكريم لا يدخل مع المشركين في جدل ذهني لإثبات البعث عند سؤالهم: (أَنذًا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا دَلِيقًا رَجَعٌ بَعِيدًا)^(٧).

- (١) صفيري: صوت زائد يخرج من الشفتين عند النطق بحروفه وهي (س، ص، ز)، وهو كالصوت الخارج عن ضغط ثقب.
- (٢) منفتح وانفتاح: ضد الإطباق: انخفاض مؤخرة اللسان. ينظر: ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، ص ٩٣-٩٥.
- (٣) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج ٣، ص ١٣٤.
- (٤) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٤.
- (٥) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٤.
- (٦) ولعل هذا الاختلاف بسبب تطور حدث لهذا الصوت مع مرّ الأزمان.
- (٧) سورة ق، آية ٣.

وإنما يُحيي قلوبهم لتتفكر هي وتندبّر، ويلمس وجدانهم ليتأثروا بالحقائق المباشرة؛ فيوجّه أنظارهم إلى مظاهر الكون من: سماء وأرض ورواسي وإلى الماء النازل من السماء وإلى النخل وإلى الجنات والنبات، فأنت تطالع كل ذلك من خلال العقل والقلب والعين وحديث النفس وهذا يلائم صفة الهمس في صوت "القاف".

ثم كشف ابن القيم عن العلاقة بين بدء سورة (ص) بالحرف "صاد" وبين ما اشتملت عليه السورة من معاني الخصومة فقال:

"فأولها خصومة الكفار مع النبي (ص) وقولهم: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم وهو الدرجات والكفارات، ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لأدم، ثم خصامه ثانياً في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم"^(١).

والذي نراه أنّ معاني الخصومة جاءت لتتناسب مع صفات الهمس والاحتكاك لصوت "الصاد" لما تتطلبه الخصومة من احتكاك الأفراد بعضهم ببعض، ولما تتطلبه من وقت؛ فالأصوات الاحتكاكية تلبث زمناً على عكس الأصوات الانفجارية، وهذا يجعلنا نحس أن الخصومة قائمة لا تنتهي، ناهيك عن أنّ الاحتكاك مع "الصاد" وصل أقصى درجاته، حيث يضيق مجراها جداً عند مخرجها فيحدث الهواء والنفس عند صدورهما احتكاكاً يسمع كالصفير، ويكون مخرجها من بين الأسنان مع ضغط اللسان؛ فيشعرنا هذا بمقدار الخصومة ودرجتها في هذه السورة.

والأصوات المهموسة مجهددة للنفس؛ لأنها تحتاج للنطق بها إلى قدر من هواء الرئتين أكبر مما تتطلبه نظائرها المجهورة، فهي تنتج بجهد مضاعف وهذا يلائم الخصومة التي تتطلب جهداً وتعباً والخصومة تتطلب أيضاً قوة وصلابة تستمدّها من صفة التقخيم في صوت الصاد.

ثم انظر ماذا يحاكي صوت "الصاد" في لفظة "الصاخة"^(٢). - أي يوم القيامة -؛ فلا يخفى ما في هذا الصوت من صفير وتقخيم يجانس ويلائم إلى حد كبير تلك الأصوات التي تكون في ذلك اليوم من أثر انفطار الكون وارتطام أجزائه بعضها ببعض وقرع بعضها بعضاً، فضلاً عن صوت النفخة التي تصخ الأذان فتصمّها لشدتها. وزاد من حدة هذا الصوت وتأثيره في النفوس الحركة الطويلة "الألف". حيث أكسبته طولاً ومدّاً واستمرارية وفعالية.

وهكذا نجد أنّ ابن القيم وابن جني قبله قد أرهفا السمع إلى أصوات حروف لغتهما، واتضح في أسماعهما العلاقة بين الصفات الأساسية لكل صوت وكيفية نطقه وبين معاني الألفاظ التي تتألف منها هذه الأصوات. واعتبرا أنّ ما قد أتيا به من أمثلة على الدلالة الصوتية قطرة من بحر من بعض أسرار هذه الأصوات.

(١) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج٣، ص١٣٤-١٣٥.
(٢) الصاخة: هي الصيحة التي تكون فيها القيامة تصخ الأسماع، أي: تصمها فلا تسمع.

ولعل إر هاف السمع إلى أصوات الحروف ومعانيها أحد الدوافع الأساسية التي جعلت الجاحظ وآخرين^(١) يذهبون إلى أنّ صناعة الكلام نظاماً ونثراً إنما هي في اللفظ وفي العبارة عن المعاني.

فالمعاني قائمة في صدور الناس ومتصورة في أذهانهم، المهم الإجابة في تأليف أصواتها وألفاظها وعباراتها التي تبعث الحياة في تلك المعاني "وتقربها من الفهم، وتُجَلِّبها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهراً، والغائب شاهداً، والبعيد قريباً، ...، والمجهول معروفاً، والوحشي مألوفاً"^(٢). فتَهز النفوس وتطرب القلوب وتخلب العقول.

وليس أدل على اللفظ بصوته من وصف القدماء له بالوحشي، والغريب، والغليظ والوعر والعذب والرقيق والفخم والجزل والسهل والرقيق والرائق والسلس، حيث اعتمد القدماء جرس الألفاظ وبناءها الصوتي لتمييز هذه الصفات والمعاني.

ومن هنا أصبح المعنى مباحاً تجوز فيه السرقة ولا تجوز في أصوات ألفاظه، فشرط السارق أن يكون قادراً على إلباس سرقة ثوباً جديداً من الألفاظ التي توحى جرسها بمعناها، "فينفرد بلفظة تُستعذب أو ترتيب يُستحسن"^(٣).

ولعل دلالة الصوت على معناه يفسر الظاهرة الأدبية – ظاهرة الحوليات – القائمة على عملية التنقيح والتهديب للألفاظ والمبالغة في تجويدها، والتي وجدت في الشعر العربي قبل الإسلام وانتشرت بين عدد من الشعراء أمثال: أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى وكعب بن زهير والحطيئة. فالتماس الألفاظ وتخير أصواتها الدالة على المعنى المراد هو الذي جعل: "خير الشعر الحولي المحكك"^(٤).

(١) ينظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، **الصناعتين**، تحقيق: مفيد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م/ص٧٢-٧٣، وابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، ج١، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م/ص١٠٩، وابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، سوريا، حلب، ٢٠٠٤م/ص٥٦٧.

(٢) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص٧٥.
(٣) الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز، **الوساطة بين المتنبئ وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١م/ص١٨٦.
وإذا قيل أنّ هناك من أتى بمعان جديدة لم يسبق إليها وفيها المزية والحسن والجمال كمعاني أبي تمام. يقول الأمدي: إن ابتكار المعاني من الصفات الكمالية فصناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجوز ولا تستحكم إلا بأربعة أشياء: جودة الآلة، وإصابة الغرض المقصود، وصحة التأليف، والانتهاج إلى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها "فإن اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الأربع أن يُحَدِّث في صنعته معنى لطيفاً مستغرباً كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد في حُسن صنعته وجودتها". ينظر: الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري**، دار المعارف المصرية بمصر، ١٩٦١م/ص٤٠٢-٤٠٤.

(٤) أبو هلال العسكري، **الصناعتين**، ص١٥٩، وينظر: ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٣٢٥.

لكن الملاحظ في هذه الدراسات القديمة أنها لم تتجاوز بعض الحروف وبعض الألفاظ التي يدل صوتها على معناها أو يدل ترتيبها على معناها، ولم يتجاوز هذا المفهوم إلى مفهوم آخر أعمق هو دلالة الصوت من خلال السياق الكلي للألفاظ ومقامها، وفهم مغاليتك النص الأدبي وبخاصة النص الشعري.

رأي المحدثين العرب

والسؤال الآن: كيف تعامل المحدثون^(١) العرب مع العلاقة بين الصوت ومعناه؟

هل تنبّهوا لها؟

هل تعاملوا معها باللطف والقبول أم بالقسر والإجبار؟

- (١) من المحدثين الجامعيين الذين أقرّوا العلاقة المقامية بين الصوت ومعناه:
- صبحي الصالح في كتابه: دراسات في فقه اللغة.
 - تمام حسان في كتابه: مناهج البحث في اللغة، واللغة العربية معناها ومبناها، وينظر له: اللغة والنقد الأدبي، فصول، ع١، ١٩٨٣، ص١١٦-١٢٨.
 - محمد مبارك في كتابه: فقه اللغة وخصائص العربية.
 - عبدالرحمن أيوب في كتابه: أصوات اللغة، والكلام إنتاجه وتحليله.
 - كمال بشر في كتابه: علم الأصوات.
 - أحمد مختار عمر في كتابه: دراسة الصوت اللغوي، والبحث اللغوي عند العرب.
 - عبد الصبور شاهين في كتابه: المنهج الصوتي للبنية العربية، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث.
 - عبد الله الطيب مجذوب في كتابه: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها.
 - ماهر هلال في كتابه: جرس الألفاظ ودلالاتها.
 - كريم حسام الدين في كتابه: الدلالة الصوتية.
 - مصطفى شحاتة في كتابه: لغة الهمس.
 - محمد العبد في كتابه: اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة.
 - عبد الكريم مجاهد في كتابه: الدلالة اللغوية عند العرب.
 - عبد الحميد زاهيد في كتابه: الصوت في الدراسات النقدية والبلاغية.
 - مراد عبد الرحمن مبروك في كتابه: من الصوت إلى النص.
 - عبد الحميد هنداري في كتابه: الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم.
 - محمد حسين علي الصغير في كتابه: الصوت اللغوي في القرآن.
 - محمد صالح الضالع في كتابه: الأسلوبية الصوتية.
 - ومنهم من رفض هذه العلاقة أمثال:
 - إبراهيم أنيس في كتابه: أسرار اللغة والأصوات اللغوية ودلالة الألفاظ.
 - عبده الراجحي في كتابه: فقه اللغة في الكتب العربية.
 - مصطفى مندور في كتابه: اللغة بين العقل والمؤامرة.
 - محمود فهمي حجازي في كتابه: البحث اللغوي وأسس علم اللغة.
 - أحمد الطريسي في كتابه: تحليل الخطاب الشعري. فهو يستنكر استعمال نتائج الصوتيات في الخطاب العادي وتطبيقها على الخطاب الشعري ويعدها من باب الإسقاط.

هل قاموا بتطبيق ما توصل إليه القدامى في معاني أصوات حروف العربية فاعتمدوا الصفات النطقية والمادية الفيزيائية لتلك الأصوات؟

يُقر أغلب المحدثين العلاقة بين الصوت ومعناه؛ فتناول الشدياق^(١) بعض الأصوات وأشار إلي معانيها معتمداً على قراءاته وملاحظاته لكثير من الألفاظ والنصوص وخبرته باستنطاقها فرأى أن:

- **الحاء:** تدل على السعة والانبساط.
- **الدال:** تدل على اللين والنعومة والغضاضة، ومن جهة أخرى على الصلابة والقوة والشدّة.
- **الميم:** تدل على القطع والاستئصال والكسر، ومن جهة أخرى على الظلام والسواد.
- **الهاء:** تدل على الحمق والغفلة وقلة الفطنة.
- **وذهب العلايلي^(٢) مذهب الشدياق وقدم تصوّره لمعاني أصوات الحروف، فرأى أن:**
- **الهزمة:** تدل على الجوفية، وما هو وعاء للمعنى وتدل على الصفة غالباً.
- **الباء:** تدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً، وعلى القوام الصلب.
- **التاء:** تدل على الاضطراب في الطبيعة، أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديداً.
- **الثاء:** تدل على التعلق بالشيء تعلقاً تاماً له علاقته الظاهرة سواء في الحس أو في المعنى.
- **الجيم:** تدل على العظم مطلقاً.
- **الحاء:** تدل على التماسك البالغ، وبالأخص في الخفيات وتدل على المائية.
- **الدال:** تدل على التصلب، وعلى التغيير الموزع.
- **الذال:** تدل على التفرد.
- **الراء:** تدل على الملكة، وعلى شيوع الوصف.
- **الزاي:** تدل على التقلع القوي.
- **السين:** تدل على السعة والبسطة من غير تخصيص.
- **الشين:** تدل على النقش من غير نظام.

(١) الشدياق، أحمد فارس، **الساق على الساق في ماهو الفارياق**، قدم له وعلق عليه الشيخ نسيب وهيبه الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٦٣-٦٤.

(٢) العلايلي، عبد الله، **تهذيب المقدمة اللغوية**، بعناية د. أسعد أحمد علي، دار السؤال للطباعة والنشر بدمشق، ص ٩٩.

- **الصاد:** تدل على المعالجة الشديدة.
- **الضاد:** تدل على الغلبة تحت الثقل.
- **الطاء:** تدل على الملكة في الصفة، وعلى الانطواء والانكسار.
- **الظاء:** تدل على التمكن في الغور.
- **العين:** تدل على الخلو الباطن أو الخلو مطلقاً.
- **الغين:** تدل على كمال المعنى في الشيء.
- **الفاء:** تدل على لازم المعنى (أي الوضع في المعنى الكنائى).
- **القاف:** تدل على المفاجأة التي تحدث صوتاً.
- **الكاف:** تدل على الشيء نتج عن الشيء في احتكاك.
- **اللام:** تدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه.
- **الميم:** تدل على التجمع.
- **النون:** تدل على البطون في الشيء أو على تمكن المعنى تمكنا تظهر أعراضه.
- **الهاء:** تدل على التلاشي.
- **الواو:** تدل على الانفعال المؤثر في الظواهر.
- **الياء:** تدل على الانفعال المؤثر في البواطن.

ويرى جرجي زيدان أنّ الصوت الثالث للفظة هو الذي يُخصص معناها ويُؤوِّع المعنى الأصلي لها "وتنوعات هذا المعنى تفوق المئات... وكلها ترد بالاستقراء إلى أصل واحد، هو حكاية صوت". فذهب مذهب ابن فارس في المقاييس ومذهب القاضي الشوكاني في كتابه نزاهة الأحداق؛ فرأى أن كل لفظة تبدأ بالصوتين (ق، ط) تدل على معنى القطع، وهذان الصوتان يحاكبان القطع، فيراه في (قطب) و(قطف) اللذين يقتضيان مع القطع معنى الجمع. وفي (قطم) وفي (قطل) معنى الشدة^(١). ومن هنا لا بُدَّ من تدريب الفكر في المواد المتَّفِقة في فاء الفعل وعَيْنه، فمن ذلك الهمزة مع الزاي، فإنَّ معناها: الضيق في الأمر. يقال:

أزَّرَ المجلس: إذا ضاق عن نفسه.

وأزَّفَ العيش: إذا ضاق.

(١) زيدان، جرجي. الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: مراد كامل، دار الهلال، ص ٩٩. لمزيد من الأمثلة ينظر، ص ٩٩-١٠١.

وأزف الرجل: ضاق صدره.

وأزق: ضاق

وأزل: صار في ضيق.

وأزم: اشتدَّ قَطَطُهُ، وضاقت عَيْشُهُ.

وأزى الظلُّ: قلص وضاقت^(١).

وكذلك الهمزة مع الباء فإنَّ معناها: التُّفور والبُعد والانفصال بين الشيئين. يُقال:

أبَّت اليوم: أي اشتدَّ حرّه فقطع الناس عن أعمالهم. وأبَد الوحش: نَفَرَ.

وأبَر النَّخل: قطع شيئاً منه.

وأبَزَ الظبي: وثب وانطلق.

وأبَقَ العبد: إذا نَفَرَ عن مولاه.

وأبَلَّ الرجل: إذا توحَّش.

وأبَنَ زيدٌ عمراً: إذا ذكره بسوء، ففصله بذلك الذكر عن الخير والصلاح.

وأبَهَ عن الشيء: تَنَزَّهَ عنه: أي بَعُدَ.

وأبَى عن الضَّيم: أي: فرَّ عنه^(٢).

وهكذا سائر تراكيب الهمزة مع الباء فإنك ستجد الدلالة الصوتية فيها تؤدي معنى الفور والبُعد والانفصال إذا أمعنت النظر.

ومنها تراكيب الهمزة مع السين، فإن معناها القوة والشدة^(٣). والباء مع الحاء معناها التفنيتش عن الشيء. والباء مع الخاء معناها الفقاء للعين وما يُشابهه^(٤). والباء مع الدال معنى ابتداء الأمر وظهوره^(٥). والباء مع الذال معنى إخراج الشيء^(٦). والباء مع الراء معنى الظهور^(٧). والحاء مع الجيم معنى المنع^(٨).

- (١) القاضي الشوكاني، محمد بن علي، نزهة الأحداق في علم الاشتقاق، تحقيق وتعليق: شريف عبد الكريم النجار، ط١، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م، ص ٣٤-٣٥.
- (٢) القاضي الشوكاني، نزهة الأحداق في علم الاشتقاق، ص ٣١-٣٤.
- (٣) المصدر السابق، ص ٣٥-٣٦.
- (٤) المصدر السابق، ص ٣٦-٣٧.
- (٥) المصدر السابق، ص ٣٨-٣٩.
- (٦) المصدر السابق، ص ٣٩-٤٠.
- (٧) المصدر السابق، ص ٤٠-٤٢.
- (٨) المصدر السابق، ص ٤٣-٤٤.

واعتبر البستاني أن الدلالة الصوتية هي حلقة اللغة المفقودة^(١)، وكان يتوقف عند الألفاظ الجديدة التي يضعها المجمع اللغوي ويتمعن صدى صوت كل حرف في نفسه، ويتأمل طريقة النطق به ثم يقول: ليس هذا المبني (الصوت) لهذا المعنى^(٢) فهو يبعد عنه كثيرًا، ثم قدم تصورمه لمعاني أصوات الحروف فجاءت كالاتي^(٣):

"الهمزة: مخرجها من الحلق، وهي أول حركة تصدر من الجهاز الصوتي بفتح الفم، ومدلولها القوة والفاعلية والأولية والأفضلية، مأخوذة من صوت الثور ومعبرة عنه بلفظ (أو).

الباء: مخرج الباء من الشفتين، ففي بدء الكلمة مأخوذ من فتح الشفتين ومثل ذلك في وسط الكلمة، وفي آخرها مأخوذ من إطباق الشفتين، فمدلوله من الأضداد، ففي بدء الكلمة يعني الفتح، وفي آخرها يعني الغلق نحو: باب، نبع، غلب.

الجيم: مخرجه من اللسان وقد انكمش داخل الحلق، ومدلوله الجمع والاندماج نحو: جمل، لجم، دمج.

الدال: مخرجه من اللسان وقد اصطدم بثثة الأسنان الفوقية، ومدلوله الامتداد إلى حد معين محدود نحو: دَخل، ودَع، صعِد.

الهاء: مخرجه من أقصى الجهاز الصوتي، ومدلوله الخفاء والغيبية عن النظر نحو قولك: هو الله الخفي عن الأبصار بذاته الظاهر في مخلوقاته.

الواو: مخرجه من الشفتين وقد مدّتا إلى الأمام، وإشارة الشفتين هذه تشبه إشارة اليد إلى شيء بعيد أو مرتفع نحو: وَقَعَ، هوى، علا "أصله علو" ومدلوله البعد صعودًا أو حَدَدًا.

الزاي: مخرجه من اللسان بسهولة دون عائق بخلاف الدال. ومدلوله مرور الشيء بسرعة وسهولة نحو: زَلَّ، نزل، همز.

الحاء: مخرجه من داخل الجهاز الصوتي ومدلوله الخفاء، وقد يكون حكاية صوت مثل: "أَح" حلو وفي الحاليين مخرجه داخلي نحو: حَمَل، لَحْم، لَمَح.

الطاء: مخرجه من اللسان وقد اصطدم بسقف الحلق وفتح الفم على ملئه بميلة الفك الأسفل إلى أسفل، مدلوله ما انبسط واطمأن من الأمكنة أي نقطة ارتكاز الشيء، نحو: طَلَب، قَطَّن، هَبَط.

الياء: مخرجه شجري أي من بين اللحيين، مدلوله الغيبية والخفاء، وله مدلولات أخرى نحو: يَسُر، سار، سَيَّر، سرى.

(١) ابن البستاني، مخطوط مقدمة علم المباني، ضمن كتاب أسرار لغوية، ملحم إبراهيم البستاني، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٣-٩٩.

الكاف: مخرجه من الشجر أي من اللحيين وهو أدنى من مخرج القاف، مدلوله إمالة الشيء من ناحية إلى أخرى نحو: كتب، عكف، لأك.

اللام: مخرجه من اللسان مع فتح الفم دون عائق، مدلوله حركة انتقالية من مكان إلى مكان، أو من حال إلى حال نحو: لعب، بلغ، عمل.

الميم: مخرجه من الشفتين كالباء ولكنه أعلى منه كما لو كان خارجاً من الأنف. مدلوله من الأضداد أيضاً كالباء أي الفتح والغلق والجمع والضم نحو: مَنَح، جَمَعَ، نَجَم.

النون: مخرجه من اللسان بعد اصطدامه باللثة الفوقية ورجوعه إلى مركزه، ففي بدء الكلمة يعني نقطة الماضي في المعنى أي نقطة الانطلاق، وفي آخرها يعني الاستقرار. مدلوله الاستقرار ومستقر الشيء نحو: نَهَض، مَنَح، خَصَن، ومن ذلك التنوين هو نون ساكنة تلحق آخر الكلمة لفظاً لا خطأً.

السين: مخرجه من بين الأسنان مع ضغط اللسان، مدلوله التنبيه والطلب والانتشار وهو حرف صغير أرق من الصاد نحو: سَقَط، قَسَط، حَبَس، سَطَعَ النور.

العين: مخرجه من البلعوم، ومقام هذا المخرج في الجهاز الصوتي عميق، مدلوله العمق نحو: علا، "علو"، صعدا، وقع.

الفاء: مخرجه من الشفة السفلى وقد ضغطت عليها الأسنان الفوقية حتى إذا تلفظ به الإنسان يطلق شفته من تحت الأسنان، فتبدو تلك الحركة كحركة الوتر عند إطلاق السهم. مدلوله الإطلاق والانطلاق والإرسال. مأخوذ من حركة الوتر عند إطلاق السهم، وعند تكرار هذا الحرف في الكلمة يعني المبالغة في مدلوله نحو: لَفَّ، فلت، تفل، تلف.

الصاد: مخرجه من بين الأسنان مع ضغط اللسان، وهو حرف صغير أيضاً أفخم من السين، ومدلوله مدخل الشيء ومخرجه نحو: صَدَرَ، فَصَلَ، نَقَص.

القاف: مخرجه من سقف الحلق مأخوذ من حكاية صوت قطع الشيء، ومدلوله القطع والفصل والإبانة نحو: قَطَعَ، لَقَطَ، نَعَق.

الراء: مخرجه من اللسان وقد تكررت حركته، مأخوذ من حكاية صوت أجنحة الطائر، ومدلوله تكرار الحركة نحو: ركض، هرب، فر.

الشين: مخرجه من بين الأسنان دون عائق أو ضغط اللسان، مأخوذ من حكاية صوت رشاش المطر، ومدلوله الكثرة والتفرق والانتشار نحو: شَعَّ، نشر.

التاء: مخرجه من اللسان وقد اصطدم بالأسنان مع ميله الفك الأسفل إلى أسفل، ومدلوله ما سَقُلَ مركزاً وكان بين يديك نحو: تحت، اكتشف، أنت.

الثاء: مخرجه من اللسان وقد ضغطت عليه الأسنان ضغطاً خفيفاً، ومدلوله التريث والتمهل نحو: ثبت، لثم، نفث.

الخاء: مخرجه من داخل الحلق أعلى من مخرج الحاء، ومدلوله الخفاء وما غاب عن النظر نحو: خرج، دخل، نفخ.

الذال: مخرجه من اللسان وقد ضغطت عليه الأسنان ضغطاً، ومدلوله نفاذ الشيء بعنف وشدة، نحو: ذب، بذ، نبذ.

الضاد: مخرجه من اللسان وقد اصطدم بأعلى اللثة الفوقية، ومدلوله حركة نبضية نحو: ضرب، غضب، نبض، ركض.

الظاء: مخرجه من اللسان مع فتح الفم على ملئه، ومدلوله خروج الشيء من مستقره أي الظهور ضد الخفاء نحو: ظهر، نظر، لفظ.

الغين: مخرجه من مؤخر الحلق أعلى من العين، ومدلوله الخفاء والغيبة عن النظر، نحو: غاب، رغب، بلغ.

وعندما تأمل حسن عباس^(١) صدى أصوات الحروف العربية في نفسه وطريقة النطق بها للكشف عن خصائصها وموحياتها حرفاً بعد حرف، تبين له أن هذه الحروف موزعة بين الحواس والمشاعر الإنسانية، فكل حاسة مجموعة من الحروف، ولكل انفعال شعوري أساسي حرف خاص، ثم وزعها على النحو الآتي:

- الحروف اللمسية: هي أبسط الحروف وأقلها تعقيداً وهي: (ت، ث، ذ، د، ك، م).
- الحرفان الذوقيان: (ل، ر).
- الحروف البصرية: (ء، ا، و، ي، ب، ج، س، ش، ط، ظ، غ، ف).
- الحروف السمعية: (ز، ق).
- الحروف الشعورية: (ص، ض، ن، خ، ح، هـ، ع).
- الحروف الشمية: لم يجد لها حرفاً خاصاً.

(١) يرى حسن عباس أن العرب قد أبدعوا حروفهم في ثلاث مراحل:

- في المرحلة الغابية (من بداية العصر الجليدي الأخير حتى الألف ١٢ ق.م) أبدع الإنسان العربي الحروف الجوفية الثلاثة: (الألف، والواو، والياء).
- في المرحلة الزراعية (التي امتدت منذ الألف ١٢ ق.م حتى الألف ٩ ق.م) أبدعت المرأة الحروف الإيمائية (ف، م، ل، ذ، ث) واحتمالا حرفا (ش، خ).
- في المرحلة الرعوية (التي امتدت منذ الألف ٩ ق.م حتى العصور الجاهلية الأولى) أبدع الرجل الحروف الإيحائية (ح، ع، غ)، والحروف (ص، ض، ط، ظ، ق) تقخيما لحروف (س، د، ت، ذ، ك) وباحتمال شديد ما بقي من الحروف.

ينظر: عباس، حسن. حول معاني حروف المعاني وأصول استعمالها، اللسان العربي، ٣٣ع، ١٩٨٩، ص٦٨-٦٩.

كما يرى أنّ لأصوات بعض الحروف إحياءات شمية إلى جانب إحياءاتها الخاصة الأخرى، كما في "الخاء" للروائح القذرة، و"الطاء" للروائح العطرة.

وبعد تحديد الخصائص الصوتية والإيمائية التمثيلية لكل حرف، قام باستخراج المصادر من المعجم الوسيط التي تبدأ بهذه الحروف مع معانيها والتي تنتهي بها أيضاً وأحياناً المصادر التي تتوسطها بعض الأحرف^(١).

ومن المهتمين بالدلالة الصوتية في النص الشعري: محمد النويهي في كتابه "الشعر الجاهلي" ومحمد مفتاح في كتابه "تحليل الخطاب الشعري".

ونتساءل هنا: هل اعتماداً سياق النص ومقامه للوصول إلى معاني أصوات الحروف بعيداً عن صفاتها النطقية والمادية الفيزيائية أم انطلاقاً من هذه الصفات؟

ففي بيت المتنبي:

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وبالناس رَوَى رَمَحَهُ غَيْرَ رَاحِمٍ

ربط النويهي بين تكرار "الراء" وبين عاطفة الحقد والقسوة والتفشي والانتقام معتمداً على مخرج "الراء".

هذا الربط عند النويهي جاء سليماً؛ لأن مخرج "الراء" وصفة التكرار فيها جاء ملائمين لتلك الصفات "ومنشأ هذه الصفة أن طرف اللسان حين ينطق به يقرع حافة الحنك فوق الأسنان الأمامية قرعاً متكرراً"^(٢). وهذا القرع "يحكي طعنات الرمح المتتابعة المتزايدة في الولوغ والإيلام... فلما ردد الشاعر هذا الحرف أربع مرات متعاقبة في جملته الشعرية، انسجمت هذه الخاصية العضوية للحرف مع تصوير الشاعر لتوالي طعنات الرمح القاسية"^(٣) "حتى ليخيل إلينا أنّ هذا الرمح يزداد إيغالا في الجرح مع كل راء"^(٤).

لكنّ هذا الربط لم يُلَقَّ عند سيد بحراري قبولاً فقال:

"والحقيقة أننا لا نستطيع أن ندرك الرابطة التي يمكن أن تجمع بين العاطفة وبين صفة حرف "الراء" وحتى لو كانت هذه الصفة ملائمة لتلك العاطفة. فما دور الصفات الأخرى لحرف "الراء"، مثل السهولة والتكرار وسهولة النطق؟ هل تدل على العاطفة نفسها أم تعطي عكسها؟ وما القاعدة التي تحكم مثل هذا الارتباط؟"^(٥).

-
- (١) عباس، حسن. خصائص الحروف العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م/ص ٥٥-١٧٠.
 (٢) النويهي، محمد. الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، ج ١، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٩٩.
 (٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٩٩.
 (٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٦٦.
 (٥) البحراري، سيد. موسيقى الشعر عند شعراء أبولو، ط ٢، دار المعارف، ١٩٩١م/ص ٢٠.

أما القاعدة التي تحكم مثل هذا الارتباط فهي: العلاقة بين الصوت ومعناه، فللصوت خصائص وصفات تتوافق مع سياقه ومقامه اللذين ورد فيهما، وقد انطلق النويهي من هذه العلاقة، فصفات صوت "الراء": (لثوي تكراري مجهور)، ففسر النويهي علاقة المخرج وصفة التكرار بمعاني البيت الشعري وعاطفته.

أما سؤال البحراوي عن صفة السيولة وسهولة النطق وعن علاقتها بعاطفة الحقد والانتقام والقسوة في دلالات (رؤى رمحه غير راحم).

نقول: إن معاني الحقد والانتقام والقسوة تحتاج إلى أصوات حروف تتصف بالقوة، وصوت "الراء" يكشف عن قوة لما يتمتع به من صفة الجهر والتكرار ومن جهة كيفية نطقه، وهذه القوة لا تتعارض مع صفة السيولة وسهولة النطق في "الراء"^(١).

فعلى هذا معظم أصوات الحروف العربية؛ فقد يتصف الصوت الواحد بصفتين متضادتين من ناحيتي القوة والضعف؛ فنحن نجد داخل الأصوات المجهورة القوية أصواتا احتكاكية مرهفة لينة: (ع، ج، ز، ذ، غ، ظ) وأصواتا مرققة (ع، ج، ز، ذ). ونجد داخل الأصوات المهموسة الضعيفة أصواتا انفجارية قوية شديدة: (ك، ت، ق، ط) وأصواتا مفخمة (ق، ط).

فألصوت الانفجاري المهموس "التاء" مثلا: يُستدل من جهة قوته وانفجاره على معنى معين، ويُستدل به من جهة ضعفه وهمسه على معنى آخر.

لهذا يمكننا أن نقول: إن صفة "الراء" تجمع ٩٠% من صفة القوة استمدتها من مخرجها وتكرارها وجهرها جاءت ملائمة لمعاني البيت الشعري، وهذا لا يتعارض مع ١٠% من صفة اللين والسهولة والسيولة التي تتمتع به "الراء"، فهي من أكثر الحروف شيوعاً في الكلام العربي ومن أكثرها تردداً في الجذور الثلاثية وأقواها^(٢)؛ لذاقتها وصفاتها ووضوحها السمعي^(٣).

وفي سياق آخر رأى النويهي في بيت علقمة بن عبدة:

كَأْسٌ عَزِيزٌ مِنَ الْأَعْنَابِ عَنَّقَهَا لِبَعْضِ أَرْبَابِهَا حَائِثٌ حَوْمٌ

(١) ومن هذا الباب اعتقد حسن عباس أن ابن جنبي قد أسند لحرف "الخاء" صفتين لا تخلوان من اعتراض التعارض، عندما قال: الحاء فيه رقة وفي "الخاء" غلظة، فقيل نضح للماء القليل ونضح للماء الكثير. ثم قال: "القاف" فيه صلابة وفي "الخاء" رخاوة، فقيل قضم لليابس وقضم للرطب. وهذا كلام غير سليم كما رأى حسن عباس.

ينظر: عباس، حسن. كيف نهتدي إلى خصائص الحروف العربية ومعانيها، اللسان العربي، ٣٣٤، ١٩٨٩م/ص ٨٥.

(٢) ينظر: موسى، علي حلمي. استخدام الآلات الحاسبة الإلكترونية في دراسة ألفاظ القرآن الكريم، عالم الفكر، ١٢م، ٤٤، ص ١٥٦.

(٣) ينظر: أنيس، إبراهيم. جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ١٥، القاهرة، ١٩٦٣/ص ٤٤-٤٥.

أنَّ العينات الأربع تمثل حرارة الخمرة الجيدة المعتقدة في الفم؛ "فالعين هذا الصوت الحلقي المجهور الذي يخرج من وسط الحلق هو أقوى الحروف العربية تمثيلاً للطعم المر"^(١).

نسأل هنا كيف تذوّق النويهي مرارة الخمرة من خلال جهر "العين" ومخرجها الحلقي في الألفاظ (أعاب، وعزيز، وعتق)؟ فما علاقة مرارة الخمر بهاتين الصفتين؟

والذي أراه أنّ هذا الصوت يوحي بالقوة من جهة جهره، والعمق والصفاء من جهة مخرجه، وهذا نستشعره في ألفاظ بيت علقمة (أعاب، عزيز، عتق).

ومن هنا نتساءل: هل صحيح أن الشاعر أراد أن نتذوق مرارة الخمرة أم أنه تحدث عن صفاء الخمرة ونقاؤها وأصاله طعمها وقدمها؟ فمع أنّ النويهي انطلق من صفات صوت "العين" لكنه أخطأ في الربط بين صفات الصوت والمعنى الذي يدل عليه.

وعمل محمد مفتاح على توظيف الدلالة الصوتية؛ لتنمية دلالة النص الأدبي وضمناً لانسجام الرسالة^(٢)، فاتخذ السمع هادياً وكاشفاً عن رؤية الشاعر "إذ أول ما يصدّم الأذن كثرة تردد حرف ... وهو تردد له مغزاه، يجب علينا نحن الدارسين أن نبيّنه سواء أقصد الشاعر أم لم يقصد إلى ذلك التردد"^(٣).

(١) النويهي، محمد. الشعر الجاهلي، ج ١، ص ٩٥.

عتقها: تركها في دنّها حتى قدّمت

الحائيّة: قوم خمّارون نسبوا إلى الحوانيت

حوم: أراد: حوم، جمع حائم، من حام يحوم إذا حام حولها.

(٢) مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ط ٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٢م/ص ٢٥.

(٣) مفتاح، محمد. في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م/ص ١٢٦.

فأرى أنّ صوت "العين" في رائية ابن عبدون يفيد الحزن^(١)، وفي سياق آخر يفيد العنف والقوة^(٢)، وآخر يفيد الاسترسال والتتابع^(٣)، ويراه الطرابلسي في بيت شوقي يفيد الذعر^(٤)، ويراه السعدني يشيع الأسى^(٥).

نقول: صحيح أنّ الرقة والاحتكاك في صوت "العين" يحاكيان معنى الحزن والأسى، وأنّ الجهر في صوتها يحاكي معنى العنف والذعر والقوة، وأنّ هذه المعاني عميقة في النفس كعمق مخرجها الحلقى، لكنّ الملاحظ هنا والواضح في هذه الأبيات أن ثلاثتهم ينطلقون من المعنى المعجمي للفظة وليس من المعنى الصوتي لها.

وأحياناً ينطلقون من المعنى السياقي للفظة؛ وإلا فكيف أفاد صوت "العين" معنى الاستمرار والترتيب؟ فليس من صفات صوت العين ما يشير إلى ذلك.

يقول محمد مفتاح: "إن السياق العام والخاص هو معيار تحويل المعنى للصوت، ومهما يكن الأمر فإن السياق بمعنييه هو الحكم والفصل، فليس للأصوات دلالة جوهرية"^(٦).

ووافقه تامر سلوم، فالسياق هو المسؤول عن تحديد الدلالة، "فكل أولئك - يقصد الصفات النطقية والفيزيائية لأصوات الحروف - ارتباطات لا علاقة لها بالمنحى الأدبي للمكون الصوتي أو بنشاطه الجمالي"^(٧) "فالتشكيل الصوتي في موروثنا النقدي لا يخلق المعنى"^(٨) وإنما الدلالة الدلالة السياقية هي التي تتحكم في الدلالة الصوتية.

- (١) في قوله: الدَّهْرُ يُجْعُجُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْباحِ وَالصُّورِ ينظر: مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري، ص ١٧٥.
- (٢) في قوله: هَوَتْ بداراً وَقَلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ وكان عَضْبًا على الأملِكِ ذا أثر العصب: القطع، وسيف عضب: قاطع، ينظر: مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري، ص ٢٠٢.
- (٣) في قوله: وَأَلْحَقْتُ بَعْدِي بِالْعِرَاقِ عَلَى يَدِ ابْنِهِ، أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرِ فبعد عدي لحق به أحمر العينين والشعر على يد زيد بالعراق. وفي قوله: ودَوَّخَتْ آلَ دُبَيَّانٍ وإخوتهم عُبَسًا، وَعَضَّتْ بِنِي بَدْرٍ عَلَى النَّهْرِ فتتابع حرف العين يوحى بتتابع العقاب والعذاب، ينظر: مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري، ص ٢٢٧، ٢٢٩.
- (٤) في قوله: نَمَّ مِلءَ جَفْنِكَ، فَالْعُدُوُّ غَوَافِلُ عَمَّا يَرُوعُكَ، وَالْعَشِيُّ غَوَافِلُ ينظر: الطرابلسي، محمد الهادي. خصائص الأسلوب في "الشوقيات"، منشورات الجامعة التونسية، طبع المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٨١م/ص ٥٧.
- (٥) في لفظة (عزاءك) التي تشيع الأسى في بقية أصوات اللفظة ذاتها. ينظر: السعدني، مصطفى. البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف بالاسكندرية، ص ٢٣.
- (٦) مفتاح، محمد. دينامية النص تنظير وإنجاز، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، المغرب، الدار البيضاء، ١٩٨٧م/ص ٦٢.
- (٧) سلوم، تامر. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ط ١، دار الحوار للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م/ص ٤٨.
- (٨) المصدر السابق، ص ٤٩.

نقول: إنَّ ابن جني ادَّعى أنَّ ألفاظ اللغة أو معظمها تصور بأصواتها معانيها دون أن يدَّعي أنَّ لكل حرف معنى محدداً لا يخالفه ولا يتجاوزه.

فإذا أشار صوت "الراء" في بيت المتنبي إلى معنى القسوة والحدق، فإن ذلك لا يعني أنه لا يشير إلى معاني الحزن أو الألم، أو حتى إلى معاني الفرح والانتصار ومعاني الحب والشوق والوصال "فالخصائص الصوتية قد تتلاءم مع أنواع شتى من الأفكار وأنواع شتى من العواطف"^(١)، لهذا نقول إن صوت "الراء" قوي دائماً، لكنه ليس قاسياً أو حزينا أو فرحاً دائماً.

فلا توجد أصوات تتصف بطبيعتها بالحزن أو القسوة أو الفرح، لكنها أصوات تتصف بالقوة وأصوات تتصف بالضعف.

فالدلالة الصوتية للألفاظ من خلال هاتين الصفتين هي التي توجي وتشخص وتصور معانيها، فهي منطلقنا الأول في فهم المعنى، ثم يأتي سياق النص ومقامه في المرتبة الثانية لتخصيص المعنى وتحديده.

لهذا لا بد أن نتخذ من تلك الصفات منطلقاً للتحقق مما جاء به المحدثون في معاني أصوات الحروف.

رأي المحدثين الغربيين

وافق كثير من المحدثين الغربيين العرب؛ فهم يرون أن للأصوات المتلفظ بها في القصيدة قيمة جمالية خاصة^(٢) تحصل من إدراك أصوات ألفاظها^(٣) فالألفاظ لا تُحمل على معناها الحرفي فحسب^(٤)؛ فمعنى القصيدة إنما يُثيره بناء الألفاظ كأصوات أكثر مما يثيره بناء الألفاظ كمعان^(٥)، فأصوات الألفاظ لا تُصور شيئاً سوى المعنى^(٦)، وتحليل الصوت بمعزل عن المعنى المعنى افتراض خاطئ^(٧). فبعض الألفاظ في اللغة يمكن فهمها من أصواتها؛ فأصوات حروف

- (١) النويهى، محمد الشعر الجاهلي، ج ١، ص ٩٩.
- (٢) كوهين، جان. بنية اللغة الشعرية، ط ١، ترجمة: محمد الوالي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م، ص ٨٣.
- (٣) المصدر السابق، ص ٨٣، وينظر: ناتل خانلري، ترويز. حول وزن الشعر، ترجمة وتعليق ودراسة: محمد محمد يونس، الناشر مكتبة الشباب، ١٩٩٤م، ص ١٥٣.
- (٤) دوفرين، مايكل. الشعرى، إعداد وتقديم: نعيم عطية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع ١٠، شباط، بيروت، ١٩٨١م، ص ٤٨.
- (٥) مكليش، أرشيبالد. الشعر والتجربة، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، مراجعة: توفيق صايغ، منشورات دار البقطة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦٣م، ص ٢٣.
- (٦) درو، إليزابيث. الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة: محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦١م، ص ٤٩-٥٠.
- (٧) ويليك، رينيه و وارين، أوستين. نظرية الأدب، ط ٣، ترجمة: محيي الدين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، ١٩٦٢م، ص ٢٠٦.

لفظة (buzz): يطنّ (A fly buzzed around the room) هو معناها، وأصوات حروف لفظة (bark) (نباح الكلب، أو صوت مثل السعال شبيه بالنباح)، هو معناها أيضاً. حيث يرد هذا كثيراً في الألفاظ التي تسمى الأشياء بأسماء أصواتها (onomato poetic) فيؤدي الصوت نفسه معنى اللفظة^(١). وهناك ألفاظ توحى أصوات ألفاظها بمعناها "لا عن طريق علاقة تامة مباشرة بل عن طريق قرائن في العقل"^(٢) فالألفاظ التي تحتوي على أحرف (umb) – وهذا ما تكلم عنه ابن جني – تحمل في طيها إيحاءً بالعجز^(٣):

لفظة: numb: خِر. فاقد القدرة على الإحساس أو الحركة.

ولفظة: crumbles الحائط إذا لم ينهر ويتفتت تماماً

و stumbles الرجل الذي قد لا يقع أرضاً ولكنه يتعثّر

و mumbles الفم الذي يفتقر إلى الشجاعة على الإفصاح فينأثي

ويستشعر فيرث هذه العلاقة في الألفاظ التي تبدأ بحروف متجانسة كالألفاظ التي تبدأ بحروف str أو spr أو التي تبدأ بحرفي el أو st أو sn أو sl فيستطيع المرء أن يُسلي نفسه بها، "فربما وجد شيئاً شائعاً بينهما لا يهمني هنا أن أنص عليه"، ورأى فيرث أن تسعين لفظة في الهندية تبدأ بالحرفين sl كلها للشتم والإهانة ونفسه في بعض ألفاظ اللغة الجاوية والتي تبدأ بالحرفين se^(٤). ورأى عبد الكريم مجاهد أن بعض الألفاظ التي تبدأ بالحرفين sl يغلب عليها دلالة الطول والنحافة^(٥). والألفاظ التي تبدأ بالحرفين st يتوافر فيها دلالة الطول والثبات والصلابة^(٦).

(١) مكليش، أرشيبالد. الشعر والتجربة، ص ٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٤) حسان، تمام. مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥م، ص ٢١٧، عن محاضرات فيرث العام الدراسي (١٩٤٨-١٩٤٩م).

(٥) مجاهد، عبد الكريم. الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، ١٩٨٥م، ص ٢٣٠-٢٣١.

والألفاظ التي تبدأ بحرفي sl هي: "slice" شريحة، "slide" منحدر، مزلق، "slight" استخفاف، "slim" رقيق، نحيف، "slink" الذي يعيش مخفياً نفسه خوفاً، "slit" شرخ أو شق طولي، "slender" نحيل، "sleet" مطر مصحوب بالبرد، والذي أراه أن المرء الذي يمشي تحت المطر المصحوب بالبرد ينكمش ويللم نفسه فيصبح نحيلاً.

(٦) والألفاظ التي تبدأ بحرفي st هي: "stack" كدّس، "stain" ووصمة، لطفة، "stand" ركيزة، "stake" خازوق، "stare" حَمَلَق، "stay" دعامة، سند، "stem" منع وعارض، "stick" سَنَد بعود، "stiff" شديد، صلب، "still" ساكن، "stock" عمود، ساق، "stub" أرومة: جزء من الشيك تبقى في الدقتر يكتب فيها الاسم والمبلغ والتاريخ، "stud" اسطبل خيل، عمود، "stump" تحدى، أصل الشجرة بعد قطع جذعها.

ينظر: مجاهد، عبد الكريم. الدلالة اللغوية عند العرب، ص ٢٣١.

وأرى أن الألفاظ التي تبدأ بحرفي **sn** يجمعها: شيء عارض أو فعل عارض، ممكن أن يزول، نحو:

- snack**: وجبة خفيفة أو سريعة
- snag**: نتوء حاد، كشجرة نائنة فوق السطح في جسم مائي أو سن مكسور أو تمزق في قماش أو عقبة غير متوقعة أو قرن وعل غير نامٍ بشكل صحيح.
- snip**: يقص أو يقطع أو يجرّ شيئاً بضربات سريعة
- snub**: يستخف، يتجاهل، ويُعامل بازدراء؛ وهذه الأفعال مكتسبة طارئة على الإنسان وليست من فطرته.
- snivel**: يسيل أنفه، يشكو بكاء وحرقة
- snow**: ثلج
- snore**: يشخر
- sneeze**: يعطس، عطسة
- snab**: يتفزع، ينقصف، ينكسر فجأة، ينهار، ينهدم فجأة، يتكلم فجأة، ينهار جسدياً أو عقلياً بسبب التوتر، يتحرك فجأة، يُطبق فكّيه فجأة (يصطك)
- snoop**: يتجسس على الآخرين (فعل مكتسب، طارئ)
- sneer**: تعبير وجهي هازئ وساخر يتكلم بسخرية وازدراء
- snick**: يقص بضربات سريعة، يخدش
- snare**: فخ، مصيدة
- snatch**: يُنزع، يخطف، يُنْبِش، يرفع وزنا، يختلس
- sneak**: يتسلّل، يتحرّك بخلسة، يتصرف على نحو مزر دال على الجبن والخداع
- وأنّ الأصوات التي تبدأ بحروف **spr** يجمعها دلالة الانتشار والامتداد والحركة نحو:
- spray**: رذاذ، رشاش: قطرات ماء متطايرة
- spread**: ينشر، يشيع، يبيث...
- spring**: يظهر بسرعة، يبرز فجأة، يثب...
- sprinkle**: يرش أو يبخ قطرات
- sprout**: ينمو أو يطلع بسرعة، ينبثق

- sprint :سباق قصير سريع، وهذا السباق يحتاج لأفراد ينتشرون على الطريق
- sprite أو spright :عفريت، جني صغير، شبح، وهؤلاء ينتشرون ويظهرون ويختفون بسرعة
- sprit :عمود صغير مائل يمتد قطريا عبر الشراع الطولي من الجزء الأسفل من السارية إلى أعلى الشراع
- spritz :يرش أو يُبَخ شيئاً بسرعة
- والألفاظ التي تبدأ بحروف **str** تدل على اتجاه مادي أو معنوي نحو:
- straight :مستقيم، مسترسل، أمين، شريف، مؤيد لمبدأ أو حزب سياسي جاد، مهتم أو مُعالج لأمر جادة أو مهمة.
- strain :أسلوب: صفة غالبية في التصرف، يتعدى الحدّ الصحيح أو القانوني.
- strange :غريب، أجنبي ليس من بيئة أحدهم
- strait :مضيق: قناة ضيقة تربط بين جسمين مائين كبيرين
- streak :خط، علامة، شريط مميز باللون.
- stream :جدول، نهر صغير، مجرى الماء، مَيْل، مسار، أو اتجاه الرأي، شعاع من الضوء، تيار مستمر من السائل.
- stray :ينحرف عن المسار الصحيح أو السلوك الأخلاقي، يطوف، يتجول.
- strap :شريط طويل
- strand :شاطئ
- strake :صفيفة ألواح طولية ممتدة على جسم السفينة من مقدمتها إلى مؤخرتها
- street :شارع
- stride :يمشي بخطوات واسعة
- stria :أخدود ضيق أو قناة ضيقة، قلم، خط
- string :خيطة، حبل، سلك
- struggle :يجاهد، يكافح، يناضل، ولعلمهم خصّوا هذا الفعل بهذه الأحرف الثلاثة ليثبتوا أنّ الشخص الذي يجاهد ويكافح هو على خط ثابت مستقيم لا يحيد عنه والقول نفسه في **straight**: بمعنى شريف وأمين ومؤيد لمبدأ.
- strip :شريطة: قطعة طويلة من القماش، شريط، مهبط طائرات.

وفي اللغة الفارسية كل أسماء الأصوات التي تبين أصواتا مكررة وممتدة تختتم بحرف "ر" مثل: شرشر، قرقر، خرخر، كركر، زرزر، عرعر. وتستعمل حروف (ك، ق) في بيان الأصوات المتقطعة: وق وق، تق تق، نق نق، هق هق، تك تك، جيك جيك. وتركيب الحرفين "نك" في محاكاة أصوات الطنين: ونك ونك، دنك دنك، جينك جينك، زلنك وزلنك. وصوت "ل" من الأصوات التي تحاكي شرب الماء: قل وقل، دل ودل^(١).

وأصوات الألفاظ أمور يُحتاج إليها لتحويلها إلى وقائع فنية^(٢)؛ فهي تكون "أكثر تناسبا مع الحالة التي يكون عليها الشاعر أو يرغب في أن يوجدها في ذهن المستمع"^(٣). ولهذه الأصوات صفات مختلفة يمكننا الاستفادة منها في "بيان العواطف والمعاني؛ لأننا نعلم أن هناك أصرة بين الأصوات والحالات النفسية"^(٤)، فمعاني أصوات الحروف هي التي تذكي وتثير مشاعرنا وعواطفنا^(٥). فكل مجموعة من أصوات الحروف تترك في الذهن تأثيرا خاصا^(٦)، يستخدمها الشاعر استخداما فريدا يحدث في المتلقي المتعة والخيال المنشود والمحاكاة المألوفة. فأصوات الألفاظ الصامتة يمكن أن تُقسم إلى أصوات حروف مظلمة (شفوية وحلقية) ومضيئة (لثوية وحنكية)^(٧)، وليس ذلك مجرد مجازات بل ترابطات تقوم على تشابهات لا جدال فيها بين الصوت واللون، وتلاحظ خاصة في بنية النظم التي تتعلّق بهذا المجال. ورومان جاكوبسون يؤيد هذه النتائج بالشواهد المستنتجة من لغة الأطفال^(٨).

وربما هذا التقسيم جاء بناءً على طريقة نُطق هذه الأصوات ومخرجها الصوتي؛ فالأصوات الشفوية (م، ب، و، ف) تحتاج إلى ضم الشفتين وإغلاقهما جزئيا أو كليا مما يؤدي إلى ظلام في منطقة المخرج الصوتي لفترة من الزمن. والحروف الحلقية (ه، ح، ع، ق، ك، خ، غ) مظلمة؛ لأن مخرجها من داخل الحلق وهي منطقة بعيدة عميقة لا يمكن رؤيتها. أما الأصوات اللثوية والحنكية (ش، ج، ت، ط، د، ض، س، ص، ز، ل، ر، ن، ث، ذ، ظ) فقد اعتبروها مضيئة؛ لأن مخرجها من اللسان الذي يقع وسط أعضاء النطق (الحلق، اللسان، الشفة)، وهي منطقة ظاهرة واضحة يدخل النور فيها ولا تحتاج هذه الأصوات إلى ضم الشفتين وإغلاقهما عند نطقها.

(١) ناتل خانلري، ترويز. حول وزن الشعر، ص ١٥٧-١٥٩.

(٢) ويليك، رينيه و وارين، أوستين نظرية الأدب، ص ٢٠٨.

(٣) ناتل خانلري، ترويز. حول وزن الشعر، ص ١٥٣.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٥) مكليش، أرشيبالد. الشعر والتجربة، ص ٥٥-٥٧.

(٦) المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٧) ويليك، رينيه و وارين، أوستين. نظرية الأدب، ص ٢١١-٢١٢.

(٨) المصدر السابق، ص ٤٢٢، ٤٤١.

توصية

ليس هناك ما يمنع أن تكون الدلالة الصوتية رديفاً للدلالة المعجمية وموضحة لها وبخاصة في العصر الحاضر، الذي تقدم فيه العلم وصار لدينا من الأجهزة المختصة التي تُحلّل الأصوات الإنسانية تحليلاً واسعاً دقيقاً، يكاد يكشف عن دلالاتها السياقية والمقامية. وبهذا نجعل اللفظة كالنغمة الموسيقية^(١)؛ توحى بجرسها. فنقول مثلاً:

– صوت الشين

صفاته النطقية والفيزيائية: غاري، احتكاكي، مهموس، مرقق

ومن صفاته التفشي: وهو انتشار خروج الريح وانبساطه حتى يتخيل أن "الشين" انفرشت^(٢)، و"الشين" تسمع عن نشيش الرطوبات العديمة اللزوجة أو القليلة اللزوجة، وعن نفوذ الرطوبات في خلل الأجسام اليابسة، ضيقة المنافذ بقوة^(٣).

مخرجه: من بين الأسنان بدون عائق أو ضغط اللسان، مأخوذ من حكاية صوت رشاش المطر^(٤).

معاني ألفاظه

أولاً: البعثة والانتشار والتشتت

وهذا يحاكي طريقة مخرجه عند النطق به.

من ألفاظه: يشّر، شخ، نشر، فرش، شعله، حشيش، شرارة، شمس، شعاع، الشهرة، الإشاعة، عشب، شجر، شعار...

ثانياً: الخلط والتجميع العشوائي

وهذا يحاكي تدافع النفس واختلاطه عند خروج صوته^(٥)

من ألفاظه: شبيث، شحم، شحن، اشترك، شمج، شاب، شوش...

ثالثاً: لتوافه الأشياء والأمور^(٦)

وهذا يحاكي رقة الصوت واحتكاكه وهمسه ويحاكي طريقة النطق به والشفاة مكشّرة^(٧).

(١) حسان، تمام. اللغة والنقد الأدبي، فصول، ١٤، ١٩٨٣م/ص ١٢٦.

(٢) ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، ص ٩٤.

(٣) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص ١٣٤.

(٤) ابن البستاني، أسرار لغوية، ص ٩٧.

(٥) عباس، حسن. خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١١٥-١١٦.

(٦) المصدر السابق، ص ١١٦.

(٧) المصدر السابق، ص ١١٦.

من ألفاظه: الشوم، شتم، الشح، الشعوذة، الشراهة، الشناعة، شوّه، الشيش، الشيص ...

— صوت الفاء

صفاته النطقية والفيزيائية: شفوي أسناني، احتكاكي، مهموس، مرقق.

ومن صفاته: الضعف؛ يقول عنه ابن جني: إنه كثيرًا ما يضيف معنى الضعف والوهن على الألفاظ التي يدخل في تراكيبها، ولا سيما المؤلفة من حروف: (د، ت، ط، ر، ل، ن) ^(١).

مخرجه: من الشفة السفلى وقد ضغطت عليها الأسنان الفوقية حتى إذا تلقّظ به الإنسان يطلق شفته من تحت الأسنان، فتبدو تلك الحركة كحركة الوتر عند إطلاق السهم. يحدث صوت الفاء من غير حبس تام، فإن كان حبس الهواء تامًا يحدث صوت الباء، فنسبة الباء إلى الفاء عند الشفة كنسبة الهمزة إلى الهاء عند الحنجرة ^(٢).

وتُسمع الفاء عن حفيف الأشجار وما أشبهها ^(٣).

معاني ألفاظه

أولاً: الشقّ والفصل والحفر ^(٤)

وهنا يحاكي ضرب الأسنان العليا بشيء من الشدة على الشفة السفلى قبل خروج صوت الفاء.

من ألفاظه: فتق، فزر، فقح، فقس، ففش، فقح، فلق، فرق ...

ثانيًا: أ. الانفراج والتباعد والاتساع ^(٥)

وهذا يحاكي انفراج الفم عند خروج صوت الفاء.

من ألفاظه: فَجَح، فُضْفُض، فَجَّ، فُلُطَح، فُقّ الشيء (انفراج)، فُفَح النبات (تفتح) ...

ب. الفراغ أو التفريغ المادي والحسي

من ألفاظه: حفرة، نافذة، أنف، فم، فسحة، فضاء، فتحة ...

ثالثًا: التشتت والبعثرة والانتشار برقة ولطافة ^(٦)

(١) ابن جني، الخصائص، ج٢، ص١٦٦-١٦٨.

(٢) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص٨٢-٨٣، وينظر: ابن البستاني، أسرار لغوية، ص٩٦-٩٧.

(٣) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص٩٧، ١٣٦.

(٤) عباس، حسن. خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١٣٣.

(٥) المصدر السابق، ص١٣٣-١٣٤.

(٦) المصدر السابق، ص١٣٤.

بما يحاكي بعثرة النفس لحظة خروج صوت الفاء ضعيفا واهيا

من ألفاظه: فرش، نفش، فاح، فاع...

رابعاً: الاطلاق والانطلاق وخروج الشيء^(١)

وهذا يحاكي حركة الوتر عند اطلاق السهم

من ألفاظه: نفذ، نفث، نفر، نفح، نفخ، نفق، نفي، نفذ

خامساً: الضعف والوهن والرقّة

وهذا يحاكي صفات الفاء الفيزيائية فهي صوت مهموس احتكاكي مرقق

من ألفاظه: الفتات، فتر، الطفل، الدالف، التالف، الطرف، الفرد...

وهذه دعوة إلى القارئ والباحث والمختص بأن يبحر في أصوات ألفاظه ويتأمل صدى أصواتها في نفسه حتى يهتدي إلى معناها، وأن يعيش أحاسيسها من خلال أصواتها، فينسّق أصوات عباراته في جمل يوافق صوتها معناه المرام. ولا يرى اتفاقاً في أصوات اللفظ بين كلمتين إلا بحث عن علاقة معنوية تجمعهما؛ فتنشأ علاقة جديدة بينه وبين الألفاظ. فجميع هذه المعاني "تؤذن بالألف والملاينة، والإصحاب المتابعة"^(٢). وهذا مطلب نفيس يقع من علم اللغة بمنزلة الرئيس^(٣)، "فالتأتّي والتلطف في جميع هذه الأشياء ضمّها، وملاءمة ذات بينها هو (خاص اللغة) وسرها وطلاوتها الرائقة وجورها"^(٤).

(١) ابن البستاني، أسرار لغوية، ص ٩٧.

(٢) ابن جنّي، الخصائص، ج ٢، ص ١١٦.

(٣) القاضي الشوكاني، نزّهة الأحداق في علم الاشتقاق، ص ٣١.

(٤) ابن جنّي، الخصائص، ج ٢، ص ١٢٥.

جدول (١): نظام الصوامت في اللغة العربية الفصيحة مخارج الأصوات الصامتة في اللغة العربية الفصيحة.

تصنيفها حسب المخرج الصوتي

	الشفقة - أذني		اللسان- أوسط					الحلق- أعلى		
	شفوية	شفوية أسنانية	أسنانية	أسنانية لثوية	لثوية	غارية	طبقيّة	لهوية	حلقية	خنجرية
مهموسة	مرققة			ح			ح			ع
	مفخمة			ط				ع		
مجهورة	مرققة	ح		ح						
	مفخمة			ح						
مهموسة	مرققة	ح	ح	ح		ح			ح	ح
	مفخمة			ح			ح			
مجهورة	مرققة		ح	ح		ح			ح	
	مفخمة		ح				ح			

... تابع جدول رقم (١)

		اللسان- أوسط						الحلق- أعلى			
		الشفة - أدنى									
		شفوية	شفوية أسنانية	أسنانية	أسنانية لثوية	لثوية	غارية	طبعية	لهوية	حلقية	حنجرية
جانبيهة	مجهورة					س					
تكرارية	مجهورة					ر					
أنفية	مجهورة	م				ن					
لين/ انزلاقي شبه حرك	مجهورة						ي	و			

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر. (١٩٦١). الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. تحقيق: أحمد صقر. دار المعارف. بمصر.
- أنيس، ابراهيم. (١٩٩٩). الأصوات اللغوية. مكتبة الأنجلو المصرية.
- أنيس، ابراهيم. (١٩٦٣). "جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية". مجلة مجمع اللغة العربية. ج١٥. القاهرة.
- أنيس، ابراهيم. (١٩٦٦). من أسرار اللغة. ط٣. مكتبة الأنجلو المصرية.
- بتي، أوديت. (١٥ آذار مارس. ١٩٧٩). "بحث في فونولوجيا اللغة العربية". مجلة الفكر العربي. س١. ج٨٤-٩. ١٩٧٩م.

- البحر اوي، سيد. (١٩٩١). موسيقى الشعر عند شعراء أبولو. ط٢. دار المعارف.
- بركة، بسام. (١٩٨٨). علم الأصوات العام. أصوات اللغة العربية. الإنماء القومي. بيروت.
- ابن البستاني. مخطوط مقدمة علم المبانى. ضمن كتاب أسرار لغوية. ملحم إبراهيم البستاني. دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع.
- بشر، كمال. (١٩٨٦). علم اللغة العام (الأصوات). دار المعارف. مصر.
- البطلبوسى، أبو محمد عبد الله بن محمد. (١٩٨٤). الفرق بين الحروف الخمسة. الظاء والضاد والذال والسين والصاد. دراسة وتحقيق. عبد الله الناصير. ط١. دار المأمون للتراث. دمشق. بيروت.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. (١٩٩٩). فقه اللغة وأسرار العربية. ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهرسه: ياسين الأيوبي. ط١. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز. (١٩٥١). الوساطة بين المتنبى وخصومه. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. علي محمد الجاوي. ط٣. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (١٩٩٩). الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. ط٤ ج١. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (١٩٥٥). الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. ج٢. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (١٩٦٩). المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. تحقيق: علي النجدي ناصف. عبد الفتاح إسماعيل شلبي. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة.
- حسان. تمام. (١٩٨٥). اللغة العربية معناها ومبناها. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
- حسان. تمام. (١٩٨٣). اللغة والنقد الأدبي. فصول. ع١.
- حسان. تمام. (١٩٥٥). مناهج البحث في اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية.
- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد. (٢٠٠٤). مقدمة ابن خلدون. دار الشرق العربي. بيروت. لبنان. حلب. سورية.

- درو، إليزابيث. (١٩٦١). الشعر كيف نفهمه ونتذوقه. ترجمة: محمد إبراهيم الشوش. منشورات مكتبة منيمنة. بيروت. بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر. بيروت. نيويورك.
- دوفرين، مايكل. (. شباط ١٩٨١). "الشعري". إعداد وتقديم: نعيم عطية. مجلة الفكر العربي المعاصر. ١٠٤. بيروت.
- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق. (٢٠٠٦). العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط١. ج١. دار الطلائع للنشر والتوزيع. القاهرة.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (١٩٧٢). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.
- زيدان، جرجي. الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية. طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: مراد كامل. دار الهلال.
- السراج، أبو بكر محمد بن السري. (١٩٧٢). رسالة الاشتقاق. تحقيق: محمد علي الدرويش ومصطفى الحدري. دمشق.
- السعدني، مصطفى. البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث. منشأة المعارف. الإسكندرية.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد. مفتاح العلوم. حققه وقدم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- سلوم، تامر. (١٩٨٣). نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. ط١. دار الحوار للنشر والتوزيع.
- ابن سينا، أبو بكر الحسين بن عبد الله. (١٩٨٣). أسباب حدوث الحروف. تحقيق: محمد حسان الطيان. يحيى مير علم. ط١. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. (٢٠٠٥). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: محمد عبد الرحيم. ط١. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشدياق، أحمد فارس. الساق على الساق في ما هو الفارياق. قدم له وعلق عليه: الشيخ نسيب وهيب الخازن. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.
- ابن الطحان، أبو الأصبع السُماتي الإشبيلي. (١٩٨٤). مخارج الحروف وصفاتها. تحقيق: محمد يعقوب تركستاني. ط١.

- الطرابلسي، محمد الهادي. (١٩٨١). خصائص الأسلوب في "الشوقيات". منشورات الجامعة التونسية. طبع المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
- عباس، حسن. (١٩٨٩). "حول معاني حروف المعاني وأصول استعمالها". اللسان العربي. ٣٣٤.
- عباس، حسن. (١٩٩٨). خصائص الحروف العربية. منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- عباس، حسن. (١٩٨٩). "كيف نهتدي إلى خصائص الحروف العربية ومعانيها". اللسان العربي. ٣٣٤.
- عباس، حسن. وعبد التواب، رمضان. (١٩٨٥). مدخل إلى علم اللغة. القاهرة.
- العلايلي، عبد الله. تهذيب المقدمة اللغوية. بعناية د. أسعد أحمد علي. دار السؤال للطباعة والنشر. دمشق.
- العلوي، المظفر بن الفضل. (١٩٩٥). نُصرة الإغريض في نُصرة القريض. تحقيق: نهى عارف الحسن. ط٢. دار صادر. بيروت. لبنان.
- الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. التفسير الكبير. إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
- القاضي الشوكاني، محمد بن علي. (٢٠٠٤). نزهة الأهداق في علم الاشتقاق. ط١. تحقيق وتعليق: شريف عبد الكريم النجار. دار عمار للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (١٩٩٤). بدائع الفوائد. ضبط نصه وخرّج آياته: أحمد عبد السلام. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (١٩٤٩). التفسير القيم. جمعه المحقق: محمد الندوي.
- كانتينو، جان. (١٩٦٦). دروس في علم أصوات العربية. نقله إلى العربية. صالح القرمادي. نشریات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية. الجامعة التونسية.
- الكوري، كونج إجو. (١٩٩١). "نظرية علم اللسانيات الحديث وتطبيقها على أصوات العربية". مجلة اللسان العربي. ٣٥٤.
- كوهين، جان. (١٩٨٦). بنية اللغة الشعرية. ط١. ترجمة: محمد الوالي ومحمد العمري. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب.
- مجاهد، عبد الكريم. (١٩٨٥). الدلالة اللغوية عند العرب. دار الضياء. عمان.

- مفتاح، محمد. (١٩٩٢). تحليل الخطاب الشعري. استراتيجفة التناس. ط٣. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.
- مفتاح، محمد. (١٩٨٧). دينامفة النص تنظفر وإنجاز. ط١. المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان. المغرب. الدار البيضاء.
- مفتاح، محمد. (١٩٨٩). فف سفمفاء الشعر القفم. دراسة نظرفة وتطبقفة. دار الثقافة والنشر والتوزفح.
- مكلفش، أرشفبالد. (١٩٦٣). الشعر والتجربة. ترجمة: سلمف الخضراء الجفوسف. مرافعة: توففق صافغ. منشورات: دار الففظة العربفة للتألف والترجمة والنشر. بالاشترك مع مؤسسة فرنكلن للطباعة والنشر. بفروت.
- موسف، عف حلمف. "استخدام الآلات الحاسبة الإلكترونفة فف دراسة أفاظ القرآن الكررم". عالم الفكر. ١٢ (٤).
- نائل خانلرف، تروفز. (١٩٩٤). حول وزن الشعر. ترجمة وتعلق ودراسة: محمد محمد فونس. الناشر: مكتبة الشباب.
- النوفهف، محمد. الشعر الجاهلف. منهج فف دراسته وتقوفمه. الدار القومفة للطباعة والنشر. القاهرة.
- أبو هلال العسكرف، الحسن بن عبء الله. (١٩٨٩). الصناعففن. تحقق: مففد قمفحة. ط٢. دار الكتب العلمفة. بفروت. لبنان.
- وفلفك، رفنفه. ووارفن، أوسففن. (١٩٦٢). نظرفة الأدب. ترجمة: محفف الدفن صبحف. مرافعة: حسام الخطفب. ط٣.